الطـلاق ومشكـلات الــزواج

الطلاق

ومشكلات الزواج

تأليف: ندى ذبيان

الطلاق ومشكلات الزواج

تأليف: ندى ذبيان
الطبعة الأولى: ٢٠٠٩.
عدد النسخ: ١٠٠٠ نسخة.
جميع العمليات الفنية والطباعية تمت في:
دار مؤسسة رسلان للطباعة والنشر والتوزيع

يطلب الكتاب على العنوان التالي:

دار مؤسسة رسلان
للطباعة والنشر والتوزيع
سوريا ـ دمشق ـ جرمانا
هاتف: ٠٩٦٣ ١١ ٥٦٢٧٠٦٠
تلفاكس: ٠٩٦٣ ١١ ٥٦٣٢٨٦٠
ص. ب: ٢٥٩ جرمانا

الإهـداء

**إلى المصلحين والمصلحات

***ولكـــل المهتمـــين بشـــأن الإصـــــلاح الاجتماعي

الـمقدمة

الكل يتوق إلى منزل تسوده المحبة والاحترام وروح التعاون، ولكن هذه التطلعات قد لا تتحقق إذا لم نعرف منذ البداية أي السبل تؤدي نحو هذه الأمنيات.

بعد سنوات من البحث الجاد لمعرفة أسباب مشاكل الأسرة واستنباط نتائجها، وبعد الخبرة العملية والتحقيقات الميدانية التي قمنا بها، وبسبب تقدم البحوث حول هذه المواضيع، بتنا نعرف الكثير عن أبعاد هذه القضية، ورغم رغبة معظم الأشخاص في الحفاظ على خصوصيتهم أمكن التوصل إلى استنتاجات صحيحة ومقنعة، وبات من المؤكد أنّ هناك خوف من عواقب الطلاق مهما كانت الأشكال التي تتخذها إجراءاته.

يُعتبر الطلاق من أشد الحوادث المؤلمة في حياة الإنسان، وتجربة قاسية لكل من الزوج والزوجة والأولاد على حدٍ سواء؛ حيث يشعر كل منهم بالإحباط والحرمان حين تتشتت الأسرة. فالزواج ليس مجرد عقد أو وثيقة يمكن التحرر منها بسهولة، خاصةً بعد وجود الأطفال إذ تكثر حالات الانحراف بين الأسر المفككة، وهذا التفكك بسبب الهجر أو الطلاق يؤدي إلى شعور الأبناء بالضياع وعدم الاستقرار العاطفي نتيجة نقص الرعاية. ولا يمكن أن يكون الطلاق نهاية للمشاكل العائلية إلا في بعض الحالات النادرة، بل يمكن القول إن الطلاق بداية لمشكلة جديدة؛ وكلما ارتفع مستوى الصِراع الأسري ارتفع مستوى الإحباط، والقلق، والإدمان، وغيرها. وإذا نظرنا إلى واقع الأطفال داخل الإصلاحيات أو في مراكز الرعاية بسبب الأسر المدمرة سوف نُدرك على الفور مدى أهمية هذا الموضوع الذي سبب الكثير من المآسي وحطم مبدأ المشاركة القائمة على المودة والرحمة، وخلق

دوافع لسيطرة الأهواء والأنانية وحب الانتقام بدل التسامح والمغفرة. وعندما تنهار العلاقة الزوجية تنقسم البيئة الاجتماعية التي عاش فيها الزوجان وتنقسم عرى الوحدة بين أسرتيهما ويتشتت الأولاد أمام واقع جديد وحقيقة مُرة وصدمة هائلة، فالشرخ الذي يتركه الطلاق على الحياة العائلية وعلى الهوية الاجتماعية هو شرخ بالغ وعميق.

إننا نتقدم بهذا البحث عن ظاهرة تصيب المجتمعات بنسب مرتفعة، وتُعتبر ظاهرة خطيرة تهدد كيان الأسرة وتسبب الكثير من المآسي الاجتماعية والنفسية. وأسباب ارتفاع معدلات الطلاق عديدة ومتنوعة؛ فالقوانين، والأعراف، والأديان، والعادات أمور تلعب الدور الأساسي في تشكيل هذه الظاهرة؛ لأن الإنسان كائن عضوي نفسي واجتماعي؛ وما يتعرض له من ضغوطات ليس حالة في معزل عن محيطها فهناك تلازم بين مشكلة الطلاق ومشكلات الفقر مثلاً، أو بين مشكلة الطلاق وقضايا تحرر أو عمل النساء، وبينها وبين بعض العادات والتقاليد وغيرها؛ فالطلاق ظاهرة فردية لكنها اجتماعية ضمناً. ولا يجوز الاعتماد على التخمين أو التوقع أو الخروج بأحكام ونظريات تتسم بشيء من النظرة الخاصة والذاتية، فالأبحاث غير المتكاملة عرضة للظنون والخطأ، ولا يمكن الأخذ بالدراسات الأحادية الجانب لأن المعرفة الخاصة لا تمثل معرفة الآخرين من البشر فلكل مجتمع عاداته ومعتقداته.

وهذه الظاهرة تطال الكثير من المجتمعات وخاصةً الحديثة، ومعدلات الطلاق ترتفع كلما زادت معدلات الزواج، وكذلك تختلف هذه المعدلات من الريف إلى الحضر وارتفاعها في أي مجتمع هو إشارة واضحة على تفككه. والمجتمع العربي يشهد هذه الأيام مرحلة تحول كبيرة في بنيته، مما يؤدي إلى بروز مشكلات اجتماعية لم تكن معروفة من قبل ولا تتناسب مع الموروث الثقافي للجماعة المحافظة.

وبسبب ضعف الإعداد للحياة الزوجية وعدم فهم الحقوق والواجبات والنقص

في التوعية تكثر المشاكل، خاصةً في المجتمعات الصناعية الحديثة حيث تضعف الروابط العائلية الممتدة، ولذا فإن حالات الطلاق في تزايد مستمر في هذه المجتمعات، ففي عام ١٩٨٠ بلغ عدد الزيجات في بريطانيا ٤٠٩٠٠٠ زواجاً (كان ٣٥% منها زيجات للمرة الثانية) وبلغ عدد حالات الطلاق ١٥٩٠٠٠ حالة. حيث بلغ العدد الإجمالي للمطلقين والمطلقات في هذه الفترة ما يزيد عن مليوني شخص، فمعدل الطلاق البريطاني الذي ارتفع بمعدل ٦٠٠% خلال السنوات الخمسة والعشرين الأخيرة، يعد من أعلى المستويات في العالم الغربي[1]. أما في الولايات المتحدة فقد دلت الإحصائيات أنه في عام ١٨٩٠ ميلادية كانت نسبة الطلاق بمعدل ٦% وتضاعفت مع السنين لتصل عام ١٩٤٨ إلى ٣٠% بمعدل أربعمئة ألف حالة طلاق سنوياً، ثم وصلت اليوم إلى نسبة ٩٠%[2].

ونلاحظ من خلال معظم الدراسات أن من بين كل ١٠٠ حالة زواج يتم طلاق ٣٣ حالة على الأقل، مع وجود تفاوت واضح في النِسب بين الريف والحضر. في الخليج مثلاً: بلغت أعلى نسبة طلاق في الإمارات ٤٠ % بناءً على إحصاءات المحاكم هناك، وفي السعودية بلغت النسبة ٣٥ %، وفي البحرين ٢٠ %، وفي الكويت الطلاق شبه ثابت منذ العام ١٩٨٥ حتى ٢٠٠٥ . ولو أخذنا نموذجاً في بلد إسلامي، كإيران مثلاً لوجدنا أن الطلاق ينتشر في المدن أكثر من الأرياف، وقد نشرت جريدة "اطلاعات"، إحصائية ذكرت فيها أن ربع حالات الطلاق المسجلة واقعة في العاصمة أي بنسبة ٢٧% من المجموع العام مع أن نسبة سكان المدن لا تزيد عن ١٠% من مجموع سكان البلاد. و من خلال إحصاءات الأمم المتحدة للعام ١٩٩٨ بلغ معدل الطلاق الخام في إيران ٠.٩٧، وفي العام ٢٠٠٠ وصل المعدل إلى ١.١٧، ليستمر في الارتفاع إلى حدود ١.٤٢ عام ٢٠٠٢؛ وبالمقارنة مع دول أخرى كبريطانيا مثلاً: فقد بلغ معدل الطلاق الخام

١- جون ستون، المسيحية والقضايا المعاصرة، الطبعة الثالثة، القاهرة دار الثقافة، ١٩٩٩ ص ٢٦٥.

٢- مكي العاملي علي حسين، الطلاق، الطبعة الاولى، بيروت، منشورات الربيع ١٩٩٤، ص ٢٢

٢.٧٠ سنة ١٩٩٨، وفي العام ٢٠٠٠ كان المعدل الخام في بريطانيا ٢.٥٨.

ولو أخذنا نموذجاً لبنانياً البلد الذي تتنوع فيه المذاهب، ضمن دراسات مستندة إلى واقع محسوس نجد أن حالات الطلاق في تزايد مخيف "في منطقة النبطية مثلاً التي تبلغ الخمسين قرية تقريباً سيكون عدد حالات الطلاق فيها ضمن عشرين سنة خمسة آلاف حالة، وهو رقم مذهل، بما يعكسه من تفكيك بين الأسر حيث تدوم آثاره طيلة حياة هذه الأسر في كثير من الأحيان."[١]

وتخضع أنظمة الزواج والطلاق في لبنان إلى خصائص عديدة تميز بنيته السكانية من أهمها عامل الدين ولا يوجد في لبنان قانون مدني للزواج، ولهذا نجد أن لبنان يمثل نموذجاً فريداً من التعايش بين مجموعات لكل منها دلالة دينية خاصة تساهم بشكل مباشر في تنظيم كيان الأسرة، ولكن لبنان اليوم يُعتبر من المجتمعات التي طاولها التغيير بسرعة وهذا التغيير أثر بشكل مباشر على استقرار الأسرة.

١- نفس المرجع ص ٢٣.

الفصل الأول

مفهوم الـزواج

اختلف مفهوم الزواج بين الأمم والشعوب منذ القدم، إلا أن معظم الشعوب تكاد تتفق بأن الزواج هو علاقة سليمة تنشأ بين شخصين سويين و هو الوضع الطبيعي لكل من الرجل والمرأة، فالزواج ينظم العلاقة الجنسية ضمن حدود و ضوابط معينة ترتضيها شريعة المجتمع وتقاليده لحفظ سلامة الزوجين النفسية والصحية، وسلامة النسل، فالزواج ضمانة لحقوق كل العائلة، والعلاقات غير المشروعة مجرد هوى وتصرف لا عقلاني يؤدي حتماً إلى فشل الزواج، و سبب الكثير من الأمراض والمشاكل، من أهمها الإنجاب غير المشروع و هو جناية على الأولاد الذين يولدون دون جو عائلي يحضنهم و يوفر لهم الأمان والاطمئنان و يوجههم التوجيه الصحيح ليكونوا بمنأى عن الانحرافات والعثرات، وسعادة الزواج تتوقف بالدرجة الأولى على حسن الاختيار والاحترام والثقة المتبادلة بين الطرفين، و ليس على أوهام الهوى أو الهيام التي تزول بمجرد أول اختلاف في المزاج أو السلوك.

١. الزواج في التعليم المسيحي:

لقد اتبع الفكر اللاهوتي الكلاسيكي الإعلان الكتابي فتعرف على ثلاثة أغراض رئيسية، رسم الله الزواج من أجلها.

فالوصية الأولى التي وجهها الله إلى الذكر والأنثى كانت (اثمروا واكثروا) (تك ١:٢٨) وهكذا فإن إنجاب الأولاد قد ترأس القائمة بصورة طبيعية.

ثانياً: قال الله (ليس جيداً أن يكون آدم وحده فأصبح له معيناً نظيره) (تك ٢:١٨). فقد صمم الله الزواج لأجل الرفقة المتبادلة والمساعدة والتشجيع الذي يقدمه كل من الشريكين للآخر في السراء والضراء. لقد صمم الزواج ليكون ذلك الالتزام المتبادل بالمحبة التي تدفع كلاً من الشريكين إلى بذل النفس، ونجد تعبيرها الطبيعي في الاتحاد الجنسي أو صيرورة الاثنين (جسداً واحداً) (تك ٢:٢٤)

"فهذه الحاجات الثلاث تعززت بالسقوط. فالتأديب الحبي في الحياة العائلية أصبح الدعم المتبادل بسبب أحزان عالم مهشم، وأصبح الاتحاد الجنسي أكثر ضرورة بسبب إغراء الفجور. ولكن جميع هذه الأغراض الثلاثة وجدت قبل السقوط. وينبغي أن ينظر إليها كجزء من تدبير محبة الله التي أسست للزواج. وكلما سما إدراكنا لغاية الله بمحبة حنونة، وتوقعات غنية أصبح الآن أنقاضاً. وإن فصم عرى الزوجية هو مأساة دوماً. إنه يناقض إرادة الله، ويحبط قصده، ويجلب للزوج والزوجة آلام العزلة الحادة وخيبة الأمل والاتهامات المضادة، والشعور بالذنب، ويسبب فجأة لدى الأولاد الذين خلفهم هذا الزواج أزمة ذهول، وعدم استقرار وغضب

في كثير من الأحيان"[1].

الله هو خالق الإنسان وواضع النظام الأخلاقي له. وإذا فهم الإنسان التعليم الإلهي الذي يركز على حياة الروح أكثر من التركيز على حياة الجسد، تتغير نظرته إلى كافة الأمور الشخصية، والعلاقات الاجتماعية، والزواج، والعمل، والصحة... وبالتالي تصبح أخلاق المؤمن مبنية على قاعدة "المشيئة الإلهية" لا على قاعدة الأهواء الذاتية للبشر حيث يقرر كل واحد ما يناسبه، فالتركيز على حياة الروح التي تفرضها طبيعة الأخلاق المسيحية، وحرص المؤمن على إرضاء الله تجعل نظرته لكل الأمور تتحدد ضمن هذا الإطار الديني.

٢. مفهوم الزواج في الإسلام:

اعتبر الإسلام الزواج سُنة الحياة، فقضت حكمة الله تعالى أن تكون موجودات الكون أزواجاً ذكراً وأنثى. ﴿وَمِن كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾(الذاريات \٤٩).

إن الله شرع الزواج لتكوين أسرة تعيش عيشةً صالحة قوامها الدين والأخلاق والمودة والرحمة. الله بحكمته جعل من الأسرة المأوى الآمن الكريم لاستقرار الإنسان:

﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجاً لِّتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ (سورة الروم الآية ٢١)

خلقَ لكم أزواجاً لتسكنوا إليها أي لتستريحوا، فالساكنين تعني

١- جون ستون، المسيحية والقضايا المعاصرة، الطبعة الثالثة، القاهرة، دار الثقافة، ١٩٩٩، ص٢٦٤.

المطمئنين أو المستريحين، سكنوا أو تسكنوا أي اطمأنوا واستراحوا، والراحة تؤدي إلى الاستقرار في السلوك والهدوء في النفس. والود أو التودد يعني التحبب أي إكثار الحب بين المحبين. والرحمة تعني، رقَ له وشفق عليه وتعطف وغفر له.

الصِلة الزوجية في الإسلام قوية جداً قائمة على المودة والرحمة والستر: ﴿هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُمْ وَأَنتُمْ لِبَاسٌ لَّهُنَّ﴾ (سورة البقرة الآية١٨٧)

لأن اللباس هو ستر، ولابسه تعني خالطه وعرف باطنه وألبسه تعني ستره وغطاه، ويقال لبس فلاناً أي تمتع بعشرته ومصاحبته وقَبِلَهُ واحتمله.

الإسلام يدعو إلى توطيد العلاقة بين الزوجين والبعد عن الظلم، وليس هذا فقط بل يعتبر أن العلاقة بين الزوجين ليست علاقة مادية ولا شهوانية بل هي علاقة روحية، ﴿جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا وَمَنْ صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ ﴾ (سورة الرعد الآية ٢٣). المؤمن الحقيقي في الإسلام يعرف ما عليه ولا يتجاوزه كي يصون نفسه وعائلته.

وهكذا يصبح الزواج في تصور الإسلام مسألة ذات علاقة وثيقة بالعبادة التي يتقرب بها المرء إلى الله.

٣. نظرة الفلاسفة إلى الزواج:

يكره الفيلسوف الزواج وكل ما يمكن أن يُقنِعه بالزواج، لأنه يرى في الحياة الزوجية عائقاً لتحقيق غايته... فلا هراقليطس، ولا أفلاطون، ولا ديكارت، ولا أسبينوزا، ولا ليبنتس، ولا كنت، ولا شوبنهور، لا واحد من هؤلاء تزوج... فالاستثناء الكبير الوحيد، هو سقراط الذي تزوج ليثبت وجوب عدم الزواج. يقال أن سقراط لم يتحول إلى فيلسوف إلا

بسبب زوجته التي كانت دائبة الشجار. الفيلسوف يتوق إلى الحرية، وكل نفس حرة ستفكر مثلما حدث لبوذا حين قال: "كم هي خانقة الحياة في بيت، إنه محل الدنس، وترك البيت للحرية". ولم يكن قصد بوذا من ترك البيت حياة الانحلال والمجون إنما كان بهدف التصوف، والتعفف، والبعد عن الضوضاء وصخب العالم. لقد ترك بوذا كل ما يملك وآثر حياة التسول والبساطة والفقر على حياة الرفاهية والمُلك.

وسلوك الزهد بوصفه مثلاً أعلى للسلوك عند معظم الفلاسفة يوحي بكثير من الدعوة إلى الاستقلال، لأن الزهد يزوده بأنسب الظروف للتأمل.

"... أنهم يفكرون في التحرر من الضغط، والتدخل، والضوضاء، والمشاكل، والواجبات والهموم، ينشدون هدوء البال ... وكلنا يعرف الشارات القوية الثلاث لحياة الزهد: الفقر، التواضع والطهارة الجنسية. وحين تفحص في حياة النفوس الخلاقة العظيمة تجد هذه الصفات الثلاث حاضرة بدرجات متفاوتة."[1]

ومع أن الالتزام برأي الفلاسفة يصدر عن إرادة حرة إلا أنه يقلل من مجال الاختيار وأحياناً يلغيه تماماً. إذا اعتبرنا أن الزواج يقيد الحرية.

ويرى نيتشه في القول: "يجب عليك ..." ما يسد الطريق أمام الخلق والابتكار. وعلى الإنسان الأعلى أن يضع : "أريد..." مكان "يجب عليك".. لكي يكون في وسعه بعد ذلك أن يكون قادراً على

١- بدوي عبد الرحمن، الأخلاق النظرية، الطبعة الثانية، الكويت، وكالة المطبوعات، ١٩٧٦، ص١٨٥.

خلق قيم جديدة. إن ما يخشاه نيتشه هو أن يقف الواجب بوصفه أمراً مفروضاً عقبة دون حرية خلق قيم جديدة.[1] والزواج بالنسبة له هو واجب.

ويمكن تقسيم الواجبات بحسب وجهات نظر الفلاسفة إلى واجبات إيجابية، وواجبات سلبية. وقد يقع التنازع بين الواجبات حين يتعارض الواجب تجاه الذات مع الواجب تجاه الغير، فيضطر الإنسان إلى أداء البعض على حساب البعض الآخر.

هكذا نجد أن الفلاسفة آثروا سلوك الوحدة والاعتزال لتحصيل العلم وجني ثمار الحكمة، والتفرغ لحياة الزهد والتواضع والطهارة الجنسية في سبيل الوصول إلى الكمال وإلى المعرفة وبمعنى آخر؛ ترك الحياة الراهنة لصالح الحياة الروحية فالمتصوفون المسيحيون والمسلمون يحتقرون الترف وينشدون التقرب من الله عن طريق مقاومة النزعات الكامنة، وتجنب التوتر، والقلق، وكل ما يؤدي إلى ارتكاب الأخطاء. ومن الصعب أن يتشابه اثنان في الأفكار والرغبات، ولذا لا تخلو الحياة المشتركة مهما كانت مستقرة من بعض المشادات والتوتر.

١- نفس المرجع، ص١٢٩.

الفصـل الثـانـي

ماهية وطبيعة الـزواج

نُظـم الـزواج:

تُعتبر نُظم الزواج من أهم النظم البنيوية التي تؤثر في شكلية وفاعلية البناء الاجتماعي، حيث تؤثر نماذج التنشئة التي تعتمدها العائلة في الأطر الفكرية والسلوكية والأخلاقية التي تنظم العلاقات الاجتماعية بين الأفراد والجماعات، وتحدد معالم الشخصية النموذجية التي يتسم بها الفرد والمجتمع؛ فنظم الزواج تلعب الدور القيادي والمؤثر في تغيير الصفات الذاتية والجماعية للأفراد وللمجتمع برمته، من خلال دور العائلة المهم والمؤثر في عملية التفاعل بين الجماعات وكافة المؤسسات الثقافية، والتربوية، والدينية والاقتصادية، فلا يجب أن تُدرس لعائلة من قبل العالم الاجتماعي وحده، بل يجب أن تُدرس من قبل العالِم الاقتصادي والعالِم السياسي والعالِم التربوي والعالِم الديني، نظراً لكونها منظمة اجتماعية مهمة تتأثر وتؤثر في المؤسسات الاقتصادية والسياسية والتربوية والدينية، ونظراً لكون أفرادها أعضاء في جميع مؤسسات وأجهزة وقطاعات المجتمع.

العائلة هي عبارة عن مُنظمة اجتماعية تتكون من أفراد يرتبطون ببعضهم بروابط اجتماعية وأخلاقية ودموية، وهذه الروابط هي التي تميز العائلة البشرية عن العائلة الحيوانية التي تخضع لأحكام ودوافع الغرائز، والشهوات والميول غير المهذبة.[1]

إن التحول والتجدد صفة أساسية من صفات السكان، فمقومات الفكر، والكثافة، والنوعية، تتغير من عصر إلى آخر ومن مجتمع إلى آخر ومن شخص إلى آخر، فالفكر يجب أن يكون مستعداً لمواجهة كل جديد، ولنشر الوعي والتحذير من المخاطر، لأن المقاربة الفلسفية للأمور تتجاوز النظرة العابرة والسطحية، فهي تحاول دراسة المواضيع من كل الجوانب، وتحاول بناء تشكيل منطقي مقنع يعتمد بالدرجة الأولى على وقائع بينة وحلول عملية تساهم في مواجهة التحديات التي تعترض الأسرة وتزعزع كيانها، ومواقفها، وقيمها الحياتية. و هذا التصدع الذي يصيب الأسرة يؤدي حتماً إلى التصدع في كافة نواحي المجتمع والدولة لأن الأسرة تعتبر المسؤولة عن زرع بذور القيم الأخلاقية، والكفاءة، والمهارة، وإعطاء الخبرة لأطفالها الذين ستكون لهم مساهمة فعلية في بناء الدولة.

يقول فرتهيمر: "عندما يعمل مجموعة من الناس سوياً، قلما يحدث أن يقتصر أمرهم على تكوين مجموعة من "الأنوات" المستقلة، بالعكس، يحدث غالباً أن يصبح المشروع العام محل عنايتهم المشتركة، فيعمل كل منهم كجزء له دلالته الخاصة في الكل..."

ويقول شولته: "أن الشخص داخل الـ "نحن" يشعر، ويفكر، ويعمل لا باعتباره "أنا" في مقابل أنوات أخرى، بل كعضو في جماعة. فنجد أن

١ـ الحسن إحسان محمد، العائلة والقرابة والزواج، الطبعة الثانية، بيروت دار الطليعة، ١٩٨٥.

عمله وفكره بل وإدراكه يتشكل تبعاً لعضويته في الجماعة".[1]
الزواج المنظم يساهم في بناء أسرة ناجحة لها تأثير عميق في استقرار المجتمع. "فإذا اهتزت القلوب بعاطفة واحدة، فليس ذلك نتيجة اتفاق تلقائي سابق يقره كل شعور فردي على حدى، وإنما يرجع السبب إلى أن هناك قوة واحدة تحرك القلوب جميعاً في اتجاه واحد، فكل فرد يتأثر بالمجموع...."[2]
وكان فريق من علماء النفس مثل: فروم وريتش قد اعتبر الدولة امتداداً للأسرة الأبوية، واعتبر فيبر **(Weber)** السلطة الأبوية تعني بمقتضى الخبرة الوضعية التي يمارس فيها شخص واحد السلطة داخل الأسرة أو العشيرة بوصفها تشكل غالباً وحدة اقتصادية معتمدة على التقاليد، وأهم سمات الأسرة الأبوية اعتمادها على علاقات السلطة والخضوع، وتسلط الرجال على النساء، وعلى قدسية التراث"[3].
الثقافة الموروثة، هي التي تنظم قضايا الزواج، والطلاق، والمهر... إلخ، والعقل العربي لم يتحرر من بعض الأعراف والتقاليد التي لم تعد تتماشى مع التطور العلمي والتقني، كما أنّ إطلاق حرية المرأة والأولاد أسهم في خلق جزء من المشاكل الأسرية.
ويرى الكثيرون من منظور تشاؤمي أن مستقبل الأسرة يبدو مظلماً وكئيباً نتيجة للأحداث الجارية في الوقت الحالي بسبب تعاطي المخدرات، والانهيار الاقتصادي، والبطالة وازدياد الصراع الطائفي، ونشوب الحروب، ومشاكل الطلاب،... ما يتطلب زيادة الاهتمام بترسيخ

١ـ جماعة من المختصين، الإنسان والمجتمع، الطبعة الثالثة، بيروت، مكتبة الحياة، ١٩٨٣، ص ٣٤.
٢ـ نفس المرجع، ص ٥١.
٣ـ مركز دراسات الوحدة العربية، المرأة العربية بين ثقل الواقع وتطلعات التحرر، الطبعة الأولى، بيروت، ١٩٩٩ ص٤١.

الحياة الأسرية، وإعادة بنائها على قواعد ثابتة وضبط الظاهرات الاجتماعية التي تُضعف كيان الأسرة.

مفهوم الحيــاة الزوجيـة

الكثيرون يتخيلون الحياة الزوجية شهر عسل دائماً، بما لا يتفق مع مظهرها الحقيقي. و هذا يعود إلى نقص الإرشاد والتوجيه حول هذه المواضيع. وحين يَفهم الشباب الغاية من الحياة الزوجية، يتم فهم كافة القضايا الإنسانية بما فيها حياة الأسرة التي يجب أن تُبنى على واقع سليم، من خلال بناء الإنسان المفكر الناضج القادر على التكيف مع مختلف الظروف، والقادر على مواجهة الحياة بحكمة وعقلانية. و هذا الفهم يساهم في استقرار وتماسك الأسرة؛ ولا يجوز البحث في مشكلة الطلاق دون تحديد الإطار العام لهذه المشكلة، ودون معرفة كل الظروف المرافقة لتأسيس هذه العلاقة منذ بداية فترة التعارف بل وأكثر من ذلك يجب العودة إلى ظروف التنشئة التي ساهمت في تحديد شخصية الشريك أو الشريكة منذ الطفولة، أما في مرحلة المراهقة قد تتكون لدى الشباب من الجنسين اهتمامات خارج حدود الذات، مثل الاهتمام بتكوين أسرة، والاستقلال عن العائلة، أو التمرد على بعض الموروث من المفاهيم، فالمراهق لا يمكنه التحرر من الصور الكامنة في اللاوعي عنده والتي تعود للظهور بشكل ملفت عند أقل انفعال.

"ويُكثِر المراهقون الكلام عن المدرسة والنشاط والمواعيد الغرامية والجنس، والرياضة. ويزداد لديهم الاهتمام بمشكلات الزواج، وبدء الاستعداد لترك الأسرة وتكوين أسرة خاصة، ويرتبط تكون هذه

الاتجاهات لدى المراهق بخبراته وخلفيته الطبقية والاجتماعية والدينية، ونوع التعليم، والأصدقاء... ويكتسب المراهق مفاهيم واتجاهات يحرص الوالدان والمربون على غرسها وتعليمها. وفي نفس الوقت تتضح نتيجة للتغير الاجتماعي والتقدم العلمي عدم ملاءمة بعض الاتجاهات وزوال بعض القيم وعدم مناسبتها للعصر مما يعوّق ويعرقل رفاهية المجتمع وسعادته"[١].

"ومن أهم مطالب النمو الاجتماعي في مرحلة الرشد: اختيار الزوجة أو الزوج، وتكوين أسرة، وتربية أطفال... ويميل الرجل أو المرأة إلى الزواج ممن هم في مستواهم الاجتماعي والاقتصادي. لذا تنشأ الأسرة في إطار متقارب واضح من المعايير والقيم الاجتماعية. ويتوافق السلوك الاجتماعي للزوجين إلى حد كبير"[٢].

"ومن جهة أخرى، لا ننسى أن هناك شباباً لهم رزانة متيقظة يودون أن يدركوا مدى المسؤوليات التي سيحملون أعباءها في إقبالهم على الزواج، وأن يجدوا الطرق الناجحة للإطلاع بهذه الأعباء على الوجه الأكمل... وما أكثر عدد الذين لا يعرفون كيف ولا أين يستقون المعلومات الشافية التي يتوقون إلى الوقوف عليها. إنهم يحجمون عن إرواء ظمئهم من الينابيع الملوثة مثل الجرائد والمجلات الإباحية أو على شاشة السينما، حيث تعالج الأمور بشكل بذيء، يحط بالأخلاق إلى أسفل الدرجات ـ ولا يجدون من سيزودونهم بمعلومات صحيحة للوقاية من الأخطاء التي غالباً ما تهدم سعادة الرجل والمرأة في أول حياتهما الزوجية رغم ما يحمله كل منهما

١ـ زهران حامد عبد السلام، علم النفس الاجتماعي، الطبعة الرابعة، عالم الكتب، القاهرة١٩٧٠ ص ٢٤٧/٢٥٠.

٢ـ نفس المرجع ص٢٥٣.

للآخر في أعماق صدره من الحب الصادق الأكيد. إن المجتمع في وقتنا الحاضر لا يعتبر قوي الدعائم إلا إذا كان مرتكزاً على اتحاد أفراده وانصهارهم في بوتقة الزواج. أما إذا رجح عدد الزيجات التعيسة فإن هذه الأسس تتداعى وتشكل خطراً جسيماً على البلاد. فكثيرون هم الذين يتزوجون آملين أن يحصلوا على السعادة ولا يلاقون سوى الخيبة. ولهذا السبب غالباً ما يطالب أحد الزوجين باسترداد حريته والانفصال عن شريك حياته الذي لم يجمعه به الانسجام. أما الذين يرفعون أصواتهم بالشكوى فلا يخطر قط ببالهم أن علة شقائهم كامنة في جهلهم، فينسبونها إلى روابط الزواج التي ينعتونها بالقاسية الجائرة"(١).

إن الجهل وانتشار الأمية والنقص في التوعية الأسرية وعدم وجود التوافق بين الأم والأب مواضيع تشكل العوامل الأولى في تكوين شخصية المراهقين ورسم معالم تأقلمهم في حياتهم المستقبلية.

وما هو جدير بالملاحظة أن معظم المتزوجين يحاولون إخفاء مشاكلهم، ويدعون السعادة ويميلون إلى الظهور أمام الناس بمظهر مرغوب فيه اجتماعياً، حتى ولو كانوا يفكرون جدياً بالطلاق؛ ولهذا يمكن القول إن الطلاق ليس المؤشر الوحيد على وجود مشاكل داخل الأسرة، وعن فصل العلاقة بين الزوجين بكل ما تعني هذه الكلمة من معنى، بل الانفصال يظهر من خلال السلوك المتشنج غير المستقر بين الزوجين؛ وهذا السلوك المتشنج يتم توريثه للأبناء، وهذا الإرث من التوتر والفشل يترك أثره بشكل مباشر على مشاعر الأبناء وسلوكهم مع أزواجهم في المستقبل.

إذا تتبعنا الرأي العام لرجال الدين، والفلاسفة والمعلمين نجد أن

١- ماري ستوبس، السعادة الزوجية، الطبعة الثانية، دار الرائد،بيروت، ١٩٩٤ ص١١/٧.

غالبيتهم ينهجون منهجاً تشاؤمياً تجاه الأسرة الحالية، حيث يعتقدون أن سلطة الآباء قد انهارت، وأن المحرمات الجنسية ضعفت إلى حد كبير، وأن الأزواج غالباً ما يتمردون على بعضهم البعض.

الدوافع الأولى لاختيار الشريك

١- الوقوع في الحب:

يتزوج الناس لأسباب كثيرة، أولها الوقوع في الحب، وتظهر المحبة كحاجة أساسية عند الإنسان لا يستطيع أن يشبعها إلا من خلال علاقته بالآخر، فالحب يولد شعوراً بالأمان والراحة والقيمة الشخصية؛ ولكن في حالات المراهقة التي تُبنى على نسق من الانفعالات تترافق مع وجود حالة عدم النضج ما يجعل الفرد يؤول على طريقته الخاصة الواقع الذي يحيط به دون معرفة معنى الحب، فيكون التعلق في هذه الحالة مجرد شعور مزيف بين شخصين لا أكثر ولا أقل، ولكن بمرور الوقت أو بعد الزواج، تخف جاذبية العلاقة وتظهر المتناقضات التي تم تجاهلها سابقاً.

"ففي دراسة أجراها "بينو" تبين أن الرجال يتمكنون في السنوات الأولى للزواج من التحرر من هذه الجاذبية أو هذا الوهم أكثر من النساء، ويظهر اختلاف آخر عندما يمتد عمر الزواج، وخاصة عندما تدعو الحاجة إلى معالجة النزاع أو الخلاف بين الزوجين فالملاحظ إن الأزواج يتبعون سياسة "التريث" في الرد عندما تقوم زوجاتهم بأفعال تتعارض مع توقعاتهم وعلى العكس من ذلك تبين إن الزوجات يقابلن انتهاك توقعاتهن بالثورة أو بالثرثرة، أو برد الفعل السلبي، وتتناقص مع مرور الوقت كذلك درجة المثالية الرومانطقية التي كانت تسبق الزواج،

وتبدأ في الظهور قيم جديدة تحل محلها."[1]

والزواج في القرن التاسع عشر كان يُعتبر بمثابة عقد اتفاق، ولم يكن الحب المتبادل بين شخصين يعتبر ضرورياً، لا لصالح الزوجين ولا لصالح العائلة، ولا لخير المجتمع، بل كان بالنسبة للمحافظين مجرد هوى أو شعور لا عقلاني، وهو يتناقض مع الانتظام ويقول "جان لاكروا" في مقدمة أحد كتبه عن المحافظين "إن دخول الحب على هذه الخلية الاجتماعية المبنية بصورة كاملة على الرتابة يؤدي إلى إفسادها."[2]

ويقول "رسل" في هذا الموضوع "إن الحياة الغريزة، حين تكون متحررة من تأثير العقل أو الروح، هي مجرد دورات غرائزية، تنتقل إلى إشباع الحاجات من خلال الأفعال الميلية التي اندفعت إليها. لا يتوجه الدافع والرغبة نحو الدورة كلها بل نحو بدايتها فقط، وتترك البقية لأسباب طبيعية. نحن نرغب في الأكل ولكن لا نرغب في التغذية إلا إذا كنا شديدي التفكير بأمر صحتنا. ولكن يصبح الأكل من دون التغذية مجرد لذة عابرة، وليس جزءاً من الدافع الشامل للحياة. يرغب الناس في المضاجعة الجنسية ولكنهم عادةً لا يرغبون الأولاد بشدة أو بشكل مستمر، و من دون التأمل بالأولاد وتحقيق هذا الأمل تبقى المضاجعة الجنسية عند أكثر الناس مجرد لذة منعزلة ومنفصلة لا توحد حياتهم الخاصة مع حياة المجموعة البشرية، وغير قادرة على تحقيق ذلك الشعور العميق بالاكتفاء الذي يأتي من خلال الاكتمال بالأولاد."

رسل يعتبر أن السعادة لا تكتمل إلا عن طريق الإبداع، فالمبدع لا

١- الخولي سناء، الزواج والعلاقات الأسرية، دار النهضة العربية، بيروت ص٢١٢-٢١٣.

٢- مجلة الفكر العربي، العدد الثالث والثمانون، ١٩٩٦، ص٢٥.

تكتمل سعادته دون أن يبتدع شيئاً جديداً كلوحة فنية مثلاً، أو قصيدة شعرية، أو علم . إن حياة الغريزة وحدها لا تولد غير الحسد والغيرة و هي تقتل روح الخلق والإبداع. "والناس الذين تغيب هذه الغريزة عن أنفسهم نجدهم مترفعين وذوي تكبر، وينقلب الناس الذين تُكبت فيهم الغريزة عن قصد إلى منابع للعداوة الغريزية." الغريزة الفارغة بالنسبة إلى رسل مجرد لحظات منفصلة من النشوة العابرة وأكثرها ممتلئ بالغم و ثبط العزيمة. وما يرفع الإنسان إلى درجة أرقى من الحيوان هما العقل والروح، ويمكن أن يكون حب الزوج والزوجة شيئاً عظيماً جداً، إذا اعتمدا الحياة البدائية الطبيعية التي توازن بين العقل والغريزة. فحياة الروح تتطلب في بعض الأحيان استعداداً لنكران الذات عندما تدعو الحاجة إلى ذلك.

إن حاجة الإنسان إلى الشعور بالحب هي حاجة أساسية تستمر مدى الحياة؛ والناس الذين يسترشدون بالعقل يتحدون فيما بينهم، عكس الناس الذين لا ينشدون غير المصالح الشخصية، والأنانية التي تدمر الآخرين كما تدمر ذاتها. ولعل أكثر ما يرهق مجتمعنا اليوم هو السعي نحو اللذة واللذة الرخيصة؛ إن الإباحية التي ترمي بظلالها القاتم تدمر كيان المجتمع، فلا الزواج بات مستقراً، ولا المراهق بات مطمئناً، والنتيجة أسر مدمرة، وأبناء ضائعون، ونساء معنفات يحتقرن نفوسهن، وإدمان وبغاء.

الحب يتطلب التضحية، والسعادة تكمن في طلب الملذات السامية النبيلة، لا الملذات الأولية، كي لا يفقد الحب معناه النبيل.

"ولكن مما يؤسف له أن ديمومة "الغرام والهيام" في اختبار الحب هي خرافة، وليست حقيقة". "وقد أجرت إحدى المختصات البارزات بعلم النفس دراسات مُسهبة في ظاهرة الافتتان. فبعد استعراض عشرات الزيجات،

استنتجت أن معدل عمر الاستحواذ العاطفي سنتان. وإذا كان علاقة غرامية مميزة، فقد يدوم أكثر قليلاً ... وبعدها عالم الحياة البيتية بكل ما فيها من واجبات وأمور قد تبدو تافهة إلا إنها كثيراً ما تكون موضع جدل ... ولو بقي الناس في حالة الغرام والهيام لبتنا جميعاً في مأزق خطر، ذلك لأن من تسيطر عليهم حالة الافتتان يفقدون الاهتمام بغير الحب... فالطالب الجامعي الغاطس حتى أذنيه في الحب تأخذ علاماته بالتدني، ...حيث يغلب الخيال عل تفكيره دائماً[1] وهذا الافتتان ليس سوى مراهقة بعيدة كل البعد عن الواقع الأسري، ففي إطار الزواج يختلف الوضع، فالعطاء هو حاجة ضرورية لاستمرار الزواج وعندما تتعاظم الاختلافات لا يمكن تناسيها ولا يمكن كبح مشاعر الغضب إلا إذا عملنا على بذل المزيد في سبيل إرضاء الآخر ﴿أعطوا تُعطوا. كيلاً جيداً ملبداً مهزوزاً فائضاً يعطون في أحضانكم. لأنه بنفس الكيل الذي به تكيلون يكال لكم﴾ (لوقا ٦:٣٨)

الزواج علاقة يجب أن تُبنى على التفاهم والتضحية وبذل النفس في سبيل المصلحة المشتركة، ولا تكفي نظرات الإعجاب فقط لبناء حياة هادئة مريحة، العلاقة السليمة تنشأ في جو من الاحترام المتبادل والتآلف وقبول الآخر وليس التملك والأنانية؛ وبدون التضحية المتبادلة يتعذر استمرار الحب. الحياة مركبة من الكفاح والسعي، ولا تخلو من القلق والهم والظروف القاسية التي يجب أخذها بعين الاعتبار ويجب الاستعداد لتحملها والمشاركة في حمل المسؤولية.

٢- الرغبة الجنسية:

إن الزيجات التي تقوم على أساس الانجذاب الجنسي فقط سرعان ما

١- غاري اتشيمان، لغات الحب، منشورات النفير، الطبعة الاولى بيروت ١٩٩٨، ص٣٢.

تتحطم عند أول مشكلة عابرة. وعندما لا يكون هناك توافق بين الأزواج وحين لا توجد المحبة الصادقة والدافئة تنهار الحياة الزوجية. التكامل الحقيقي في الزواج يعتمد على العوامل النفسية أكثر مما يعتمد على العوامل الجسدية، وبصفة خاصة عند النساء، فمعظم النساء تحتاج إلى العاطفة، أكثر مما تحتاج إلى الجنس، و عدم احترام الزوجة والتمادي في جرح مشاعرها يؤدي بها حتماً إلى التحجر في العاطفة، والنفور من الزوج. ولا بد من التذكير بأن المرأة تمر بفترات عصبية أثناء الحمل أو ما بعد الولادة، وكذلك في مرحلة سن اليأس وما يرافق هذه المرحلة من كآبة وتوتر وعدم رغبة في العلاقة الجنسية، وهذه أمور لا يتم مراعاتها من قبل بعض الأزواج، إما عن جهل في هذه الأمور، أو بسبب الأنانية وعدم الاهتمام لصحة وحاجات الزوجة.

"يقول الدكتور فوريل في كتابه "المسألة التناسلية" إن غشيان بؤر الدعارة يجعل الرجال عاجزين عن فهم نفسية المرأة ووظائفها التناسلية، لأن المومس ليست إلا آلة مدربة على إثارة شهوة الرجال بأساليب وحركات آلية، وعندما يبحث الرجل عن نفسية المرأة وهو في أحضان مومس لا يقع إلا على مرآة نفسه."

وقد ذكر أحد القضاة أن أكثر الأزواج الذين تقدموا إليه طالبين الطلاق كانوا يلمحون بأن زوجاتهم لا تعرفن أساليب الغنج والدلال التي ألفوها في أحضان بنات الهوى، واستنتجوا من هذا أن الزوجة التي لا تقابل اندفاع زوجها باندفاع مثله تكون إما عاشقة غيره ولهذا لا تكترث لمشاعر زوجها، أو هي ذات عيب تناسلي يجعلها باردة كالثلج جامدة كالصخر. إن هذا الفريق من الرجال الذين اختبروا الممارسة الجنسية قبل الزواج أو الحب الرخيص مع بائعات الهوى يقارنون دائماً بين زوجاتهم وبين من جربوا بالزنى. وهذا يجعلهم بعيدين كل البعد عن الحقيقة

العلمية، فالعلاقة بين الزوجين لا يمكن برمجتها أو قولبتها حسب بعض المؤثرات الإباحية الرخيصة أو بعض الحركات التي تتقنها المومسات والتي كانت السبب المباشر في خراب الكثير من البيوت، ودفع المراهقين إلى الانحراف، وخلق الكثير من المشاكل الصحية والنفسية.

إن العلاقة الجنسية تدخل ضمن المواضيع المؤثرة على الحياة الزوجية بشكل مباشر، ولكن يجب أن نعرف بأن هناك فرق بين العلاقة الجنسية في أثناء شهر العسل، والعلاقة الجنسية الفعلية التي يمارسها الزوجان فيما بعد. وحين لا يعرف الشخص هذا الفرق، سينتج عن ذلك خيبة أمل كبيرة تنتهي دائماً بصراع مستمر وعنيف.

"فالإحصاءات تشير على أن غالبية الرجال يرغبون في ممارسة العلاقة الجنسية باستمرار، لكن أغلبية النساء بعد شهر العسل وبعد الإنجاب تقل رغبتهن في العمليات الجنسية وقد تكتفي المرأة بمرة أو مرتين في الشهر أو بعض المرات في السنة. ومنهن من تنفذ رغبتهن نهائياً. وهذا بالطبع يوّلد صراعاً عنيفاً."[١]

المرأة تعشق جمال الرجل للنظرة الأولى ولكنها بعد الزواج تعشق روحه فإذا لم تكن روحه تستحق العشق، فإن مظهره الجميل لن يشفع له وسينتهي هذا الزواج إلى الطلاق لأن الزواج ليس وظيفة بدنية جنسية فحسب ولكنه عمل عقلي وروحي يعتمد على العوامل النفسية والمعاملة الجيدة أكثر مما يعتمد على الجنس، فالعقل عند المرأة بصفة خاصة يقوم بدور كبير في تنظيم الحياة الجنسية، إذ يجب أن تكون الزوجة في حالة عقلية

١- كارول وسيرج فيدال، المشاجرة بين الزوجين، السعودية، مكتبة العبيكان، الطبعة العربية الأولى، ٢٠٠٧، ص٢٨.

وعاطفية لائقة حتى تستجيب للمهيجات الجنسية. ويعني ذلك بالنسبة للنساء تلقي درجة معينة من الحب والوداد، وهناك أعمال صغيرة بين الزوج والزوجة تظهر هذا الود، كالتأدب في المعاملة، والتقدير المتبادل، والحنان، والإخلاص، واعتماد كل منهما على الآخر، هذه الأمور يحتمل كثيراً أن تنبه الاستجابة الجنسية لدى الزوجة فيما بعد أكثر من مجرد الأعمال المادية... "إن الحياة الجنسية لدى النساء تختلف كلياً عن الحياة الجنسية لدى الرجال، ولهذا يعتبر التوافق الفكري في الحياة الزوجية هو الأساس، وهذا التوافق قد يصعب تحقيقه في بداية الحياة الزوجية، ولكن بالصبر والحكمة، والرغبة في الاستمرار يمكن التوصل لفهم مشترك من أجل بناء أسرة ناجحة، فالحياة الزوجية تقوم على العطاء والتضحية، لا على الأنانية والمصالح الشخصية. وإذا كان هناك بعض الانزعاج من تصرف ما، فالنقد يجب أن يكون بطريقة مهذبة، لأن التهكم والسخرية من الأمور المدمرة للعلاقة، وإظهار عيوب الآخر بشكل فاضح خاصةً أمام الآخرين يؤذي مشاعر الشريك. ولا يجوز أن نتوقع من الشريك أن يكون مرآة ذاتنا، فلكل إنسان طبائعه وميوله التي لا يمكنه تغييرها بسهولة، والعلاقة الجنسية لا تستمر على وتيرة واحدة، فهي تتغير حسب الظروف؛ بعض الأزواج يتوقفان عن ممارسة الجنس لأسباب كثيرة، عدم توفر الوقت مثلاً، أو عدم توفر المكان المناسب، أو بسبب مرض أحد الأولاد، في هذه الحالة لا تكون العلاقة الجنسية موضوع المشاجرة، ولكنهم حين يدخلون في صراع حاد ومفاجئ، تكون المصالحة عن طريق العلاقة الجنسية هي تخفيف لهذا الصراع. وتتغير الفروق الجنسية بتغير الظروف الزوجية، وبتغير خبرة التنشئة الاجتماعية فتربية البنات تختلف عن تربية الأولاد،إن العوامل

الثقافية، والدينية، والتقاليد السائدة تعمل على تحديد الثقافة الجنسية من جيل إلى جيل. هناك الكثير من العادات المتغيرة، والثقافات الوافدة تضرب بالتقاليد عرض الحائط وخاصة عند فئة المراهقين. "وإن أحد التأثيرات السيئة على العلاقات بين الرجال والنساء قد سببتها الحركة الرومنطيقية بتحويلها الانتباه إلى ما يجب أن يكون خيراً عارضاً وليس إلى الغاية التي من أجلها تنشأ العلاقات. أن الحب بين شخصين ضيق كثيراً ومنفصل عن المجتمع ولا يصلح ليكون بمفرده الغاية الرئيسية في حياة فاضلة".[١]

الجنس في المجتمعات المحافظة

"يفهم الجنس في المجتمعات الشرقية المحافظة من جانب واحد. وحين يتم سؤال الناس في هذه المجتمعات عن مفهوم الشخص الأخلاقي والشخص الغير أخلاقي، يقدم معظمهم أوصافاً تدل على أن الشخص الأخلاقي هو الشخص العفيف جنسياً والغير أخلاقي هو المتحرر أو "المنحل" في مسائل الجنس، هذا التوحيد بين الأخلاق وبين الجانب الجنسي من سلوك الناس له دلالاته الخطيرة؛ فهو أولاً يدل على اهتمام مفرط بالجنس، ينشأ عن قسوة الحرمان وصرامة القيود في المجتمع الشرقي المحافظ. إن هذه الصرامة في النظرة إلى الجنس تخفي وراءها نفاقاً شديداً لا يملك المرء إلا أن يتشبع به منذ حداثته إذ أن قدراً كبيراً من المحرمات التي نفرضها في مجال الجنس ترجع إلى الرغبة الخفية فيه، وكثير من المتزمتين لا يبدون هذه الصرامة إلا لكونهم محرومون، بحيث تكون قسوتهم وصرامتهم مجرد مظهر سلبي للرغبة العارمة في

١- راسل برتراند، أسس لإعادة البناء الاجتماعي، الطبعة الأولى، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر، ص١٥٥.

ارتكاب كل ما يحرمونه على الغير. ومن المؤكد أن شبابنا الذي ينشأ موزع النفس، بين التحريم الشديد الذي يفرضه المجتمع، وبين الرغبة القوية التي تزيدها لديه الحواجز المفروضة على الاختلاط بكل أنواعه ودرجاته، لا بد أن ينتهي به الأمر إما إلى أن يساير ركب النفاق الاجتماعي فيدعي لنفسه ورعاً لا يؤمن به في قرار نفسه وإما يلجأ إلى الأساليب الهروبية، كإدمان النكات الجنسية، أو ما هو شر من ذلك".[١]

والأغرب من ذلك الأب يربي بناته على ضرورة التعفف والشرف، ولكن تصرفاته الشخصية لا تدل على ما يتظاهر به. والشاب حين يفكر في الزواج يختار الفتاة المتعففة، بينما يستمر البعض في التفتيش عن المتعة الرخيصة خارج المنزل؛ لأن الزوجة التي نشأت على الثوابت المحافظة لا تستطيع التخلص منها ولن تكون الزوجة التي ترضي مزاجية الزوج الذي لا يهتم لغير الشهوة البهيمية ولا ينظر إلى النواحي الإيجابية الأخرى لديها، فكثيراً ما نرى زوجات مثاليات ولكنهن غير سعيدات في علاقتهن مع أزواجهن. وهذا ليس بسبب عيوب عند الزوجة المسكينة، إنما العيب في تنشئة الزوج الذي لا يوازن بين حقوقه وحقوق زوجته. وكل ما يُقال عن امرأة باردة كالثلج كلام غير صحيح من الناحية العلمية أو البيولوجية، والصحيح هو أن الزوجة التي يُقال عنها أنها باردة ولا تتمكن من إشباع رغبة الزوج، إنما هي ضحية، ضحية التربية التي تلقتها، وضحية الكبت، وضحية قسوة الزوج حين يعاملها كآلة صماء يحركها حسب أهوائه وميوله، ولا يقيم وزناً لمشاعرها، ولا للقيم ولا للأخلاق التي ينبغي أن تراعي هذه الناحية المهمة في حياة البشر؛ فالزواج حسب الأصول والشرع

١- زكريا فؤاد، مشكلات الفكر والثقافة، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٧٥، ص١٧٦.

هو الطريق الأمثل للحد من الانحراف ولو وضع ضوابط، ولو تُركت هذه الناحية دون ضوابط ما عاد هناك ما يميز الناس عن باقي الحيوانات.

وقد ساهمت الحياة المدنية العصرية في جذب الانتباه إلى المواضيع الإباحية، من خلال التأثير على اتجاهات وميول الأفراد عبر التلفاز والمجلات واللافتات التي تركز على مواضيع العلاقة الجنسية مما يخلق صراعاً قوياً لدى المراهقين . وخاصةً هؤلاء المتمسكين بالقيم والأخلاق.

إن الحكمة من تشريع الزواج كانت لضبط وكبح جموح الشهوة وللمحافظة على سلامة النسل، وتخفيف المعاناة النفسية والجسدية، لأن الأسلوب الأفضل في الحياة يستهدف خير النفس والجسد معاً؛ والقيم الخُلقية والدينية تعمل على تنظيم حياة الأفراد وتأمين سعادتهم وتحد من تأثير المفاهيم الزائفة التي لا تسبب سوى الألم والخيبة.

إن موضوع اللذة كان محط اهتمام رجال الدين والفلاسفة والعلماء لتنظيمها ووضعها ضمن الأطر السليمة؛ وإذا أخذنا "أفلاطون" مثلاً: فقد اعتبر أفلاطون أن المسرات المفيدة خيّرة لأنها تصنع الخير، والمسرات المؤذية شريرة لأنها تصنع بعض الشر، فالحياة السعيدة هي الحياة المعتدلة الحكيمة. وكبح جموح الرغبات خير للنفس من التطرف ويؤكد أفلاطون هذا بقوله:

"أني أؤكد أن من يرغب في السعادة عليه أن يطلب الاعتدال ويهرب من التطرف بأقصى سرعة تستطيعها رجلاه... هذا ما يبدو لي أنه الهدف الذي يجب أن يتوخاه الإنسان ويجب أن يوجه إليه كل جهده، وجهد الدولة، عاملاً على أن يظفر بالاعتدال والعدالة في نفسه ويكون سعيداً، غير تارك لشهواته العنان يحاول أن يشبعها فلا تشبع وتفضي به إلى حياة لص، مثل هذا لا يكون صديقاً لإنسان، أو لإله، لأنه غير قادر على

المشاركة فهو غير جدير بالصداقة."[1]

"إن الحياة المفضلة ليست الحياة الخالية من الحكمة ولا حياة الحكمة الخالية من اللذة بل حياة خليط من الاثنين أي حياة لذة، وعقل، وحكمة. فإذا حييت حياتك برمتها مستمتعاً بأعظم الملذات ولم تحرز عقلاً ولا ذاكرة ولا علماً ولا رأياً صحيحاً صادقاً، فمن الضرورة الأكيدة قبل كل شيء، أن تجهل هذا الواقع بالذات، وهو كونك تعيش في حبور أم لا، إذ أنك خالٍ من كل إدراك".[2]

واعتبر أفلاطون: أن اللذة تتولد أحياناً على أثر ظن كاذب يعتقد المرء أنها لذة ولكنها تسبب الألم عندما تحول سمعة بعض الأشخاص "مقبحة". أو تؤدي إلى فساد الجسد.

إن الدين والفلاسفة يرفضان رفضاً قاطعاً الملذات المسببة للألم ويقبلان الملذات الخالية من الآلام فالحياة الصالحة خليط من حياة العقل وحياة اللذة ولكن الغلبة يجب أن تكون للحكمة والعقل والمعرفة.

ولعل أكثر ما يرهق مجتمعنا اليوم هو السعي نحو اللذة واللذة الرخيصة، إن الإباحية التي ترخي بظلالها القاتم تدمر كيان المجتمع، فلا الزواج بات مستقراً، ولا المراهق مطمئناً، والنتيجة أسر مدمرة، وأبناء ضائعون، ونساء معذفات يحتقرن نفوسهن، وإدمان وبغاء. وتماماً كما قال أفلاطون السعادة تكمن في طلب اللذة النبيلة السامية لا اللذة الأولية، ولا يجوز أن تكون لذة فرد السبب المباشر لآلام آخرين.

"ستيوارت مل" يعتبر الشقاء أفضل من الأنانية "أن يكون المرء شقياً

١- حرب حسين، أفلاطون، دار الفكر اللبناني، ص١٧٧.

٢- نفس المرجع، ص١٧٨.

أفضل من أن يكون خنزيراً راضياً." فالناس الذين ينشدون الخير العام ويكابدون من أجل ذلك أفضل من الناس الذين لا يفكرون بغير مصالحهم الهزيلة، والأنانية في معظم الأحيان تدمر ذاتها قبل أن تدمر الآخرين. ولا شيء أفضل من وجود الله في حياة الإنسان، فهو يُمكنه من مصاحبة الفضيلة، ويساعده على الانتقال من اللذة الآنية العابرة إلى لذات أخرى مفيدة تبعد الإنسان عن الملل وتبعث فيه النشاط والطموح.

٣- الرغبة في الاستقرار وتأسيس عائلة:

تتنوع الرغبات أو الحاجات عند الإنسان فهناك حاجات جسدية وحاجات نفسية؛ فالحاجة إلى الحب والعطف والاستقرار مع العائلة هي من أهم الحاجات التي يتوق إليها الناس. والزواج الذي يُبنى على هذه الأسس، مع وجود التوافق بين الزوجين يكون أمراً محترماً ومتيناً. الزواج هو أفضل وسيلة لبناء حياة هادئة مريحة، فهو يعني الصحبة التي تكفل لكل من الزوج والزوجة الهناء والاستقرار. ومعظم الأفراد يفضلون بناء أسرة متماسكة، ويصابون بخيبة أمل حين لا يستطيعون ذلك. وهو أيضاً من سنن الأنبياء، باركه الله لأجل تكوين أسرة صالحة، ومن أجل استمرارية الحياة.

﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا فَلَمَّا تَغَشَّاهَا حَمَلَتْ حَمْلاً خَفِيفاً فَمَرَّتْ بِهِ فَلَمَّا أَثْقَلَت دَّعَوَا اللّهَ رَبَّهُمَا لَئِنْ آتَيْتَنَا صَالِحاً لَّنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ﴾ (سورة الأعراف /١٨٩)

﴿وباركهم الله وقال لهم أثمروا وأكثروا واملؤوا الأرض واخضعوها﴾ (تك ١:٢٨)

هذه وصية الله التي وجهها إلى الذكر والأنثى والتي لا يجوز التفريط بها. ولكن مع تطور المجتمعات هل مازال الزواج يعبر عن هذا المفهوم؟.

الفصل الثالث

الزواج من مفهوم تطوري

إن حكماء وعلماء العالم لا يرون بديلاً عن الزواج كمؤسسة عائلية تجمع الرجل والمرأة ليعيشا بهناء واستقرار.

"قد يفكر البعض بأن هذه المؤسسة تحتاج إلى تطوير وملائمة لظروف الإنسان الحديث. كما نرى عند عدد من الأميركيين الذين اختاروا نمطاً من الزواج أطلق عليه "زواج السفر" حيث يتزوج الرجل والمرأة ولكنهما لا يجتمعان في بيت واحد وإنما يلتقيان باستمرار مع تخلل لقائهما فترات من الفراق بسبب الانشغال في العمل أو اختلاف مكان السكن، وهو نموذج مشابه لزواج "المسيار" الذي شاع أخيراً في بعض دول الخليج، أو "زواج المتعة" وإن كان فيه خلاف بين المذاهب الإسلامية. وعلى أي حال فإن الأهداف الإنسانية والحاجات الاجتماعية متأصلة في الإنسان وتبقى ثابتة ولكن وسائل التعبير عنها قد تختلف من زمان لآخر ومن مكان لمكان."[١]

١ـ المرأة، مرجع سابق، ص٧٤.

الأسرة تعكس صورة التغير الاجتماعي، والتغير الاجتماعي سمة عامة من سمات المجتمعات البشرية، منذ بدايات التاريخ "الأشياء في تغير متصل... أنت لا تنزل النهر الواحد مرتين، فإن مياهاً جديدة تجري من حولك أبداً" (هرقليطس)

هذه الحكمة تنطبق على واقع الأسرة التي لحقها التغيير بسرعة خاصة في المجتمعات المدنية الحديثة حيث يحصل التغيير بشكل غير منظم مع دخول الكثير من العادات والثقافات الجديدة على المجتمع والتي يتم استغلالها بالشكل غير الصحيح أحياناً.

ولكن قوانين الزواج ما زالت في معظمها تخضع للأديان، والتقاليد التي يعتبرها البعض نظاماً عتيقاً لا يتماشى مع الحرية والتطور.

"برتراند راسل" مثلاً: حاول في كتابه عن الزواج والأخلاقيات أن يدرس الأسرة من منظور تطوري، وأشار إلى أن هناك احتمالات في أن تصبح الأسرة نظاماً عتيقاً، أو أن تصبح نظاماً مضى عليه الزمن، بعد أن تضاءل تأثير الديانة المسيحية في الحياة اليومية بسرعة هائلة في كل أوروبا حيث قال: "لم تتدن نسبة المؤمنين الاسميين فقط بل انخفضت أيضاً في من تبقى على إيمانه حدة (التحجر). ولكن لا يزال هناك مؤسسة اجتماعية واحدة تتأثر بالتقليد المسيحي إلى حد هائل أقصد بذلك مؤسسة الزواج "هناك سؤالان يجب أن يطرحا بخصوص أي نظام زواج؛ أولاً كيف يؤثر في نمو وخُلق الرجل والمرأة ذاتهما، وثانياً ما هو تأثيره في إنجاب الأولاد وتربيتهم.

إن قوانين الزواج في إنكلترا مبنية على التوقع بأن العدد الأكبر من الزيجات سيدوم مدى الحياة، لا يمكن فسخ الزواج إلا عندما يثبت أن

واحداً من الزوجين وليس كلاهما معاً قد زنى، وعندما يكون الزوج هو الجهة المذنبة يحكم عليه أيضاً أنه مذنب لعلتي القسوة والهجر، ولا يستطيع الطلاق بالواقع وحتى عندما تكتمل هذه الشروط إلا من كان غنياً، وذلك لأن نفقات الطلاق باهظة جداً. ولا يمكن حل زواج لسبب الجنون أو الجريمة أو القسوة مهما كانت هذه الأشياء فظيعة، كما لا يمكن حله لأية علة كانت حتى ولو وافق كل من الرجل و المرأة على ذلك، لأن القانون يَعتبر الزوج والزوجة مرتبطين معاً مدى الحياة".[1]

وباختصار يمكن القول أن الزواج يخضع لشروط دينية واجتماعية، ولأن الأفراد يسعون لتحقيق هوية اجتماعية إيجابية فهم يخافون من الخروج عن قواعد السلوك المتبعة داخل المجتمع.

"إن عقوبة خرق قانون الزواج تعتمد بشكل رئيسي على الرأي العام، والزنى يُعتبر من الأمور الفاسدة التي تخالف تعاليم الكنيسة... ومن السابق للأوان أن نحكم بثقة على نتائج حرية المرأة... ولكن أجزاءً من السكان تتناقص بينما تزيد الأجزاء الأخرى وتضم الأجزاء المتناقصة الطبقة الوسطى وأصحاب الحرف، أما الأجزاء التي يتزايد عددها فهي الفقراء جداً والكسالى والسكيرون وضعفاء العقول، خاصة النساء الضعيفات العقول اللواتي هن شديدات الإخصاب. يحدث تزايد في أعداد السكان الذين لا يزالون يؤمنون بتأثير الدين الكاثوليكي، لأن الدين الكاثوليكي، يعارض تحديد العائلة. ولا تميل الفتيات النشيطات والذكيات في الطبقات المهنية، عادة إلى الزواج في سن مبكرة أو إلى

١- راسل برتراند، أسس لإعادة البناء الاجتماعي، المؤسسة الجامعية للدراسات، الطبعة الأولى، بيروت ١٩٨٧، ص١٣٧.

إنجاب أكثر من ولد أو ولدين عندما يتزوجن، وإن انحطاط العائلة، سوف يخفض المعيار الفعلي في السكان. لا شك أبداً بأنه إذا بقي نظامنا الاقتصادي ومقاييسنا الأخلاقية على ما هي عليه الآن، فسيحدث خلال السنين القادمة تغيير سيئ وسريع في مزاج سكان كل الأمم المتحضرة وانخفاض فعلي في الأجزاء الأكثر حضارة... وسينمو بالتدريج جنس لا يتأثر بدواعي العقل، بل يؤمن بكل صلابة بأن تحديد العائلة يقود إلى نار جهنم".[1]

و يكمل رسل القول: أن التغيير يحصل بشكل كبير وحتمي بالنسبة للزواج وقد أصبح بإمكان المرأة أن تتجب الأولاد دون أن ترتبط بزواج لمدى الحياة، أو بدون زواج، وغابت صورة المرأة الفاضلة المضحية التي امتدحها أسلافنا في العصور الوسطى، هذا الترتيب الفكري قد اندثر في العالم المتحضر، و لم يعد هناك إمكانية للقبول بالخضوع القديم، وأصبح شكل الزواج الماضي مستحيلاً... إن السيطرة على الغريزة وكبح الشهوات لا يمكن أن يجد أي علاج تام إلا في شكل ديني يؤمن به الناس بصدق وحماس لدرجة يطغى بها على حياة الغريزة.

"لقد ساد الدين على الشكل القديم في الزواج، و هذا يجب أن يسود على الشكل الجديد، ولكن يجب أن يكون ديناً مبنياً على الحرية والعدالة والحب، وليس على السلطة والقانون ونار جهنم". رسل يعتبر الحب هو الذي يضفي قيمة على الزواج "فالحب كالفن والفكر و هو أحد الأشياء السامية التي تجعل حياة الإنسان جديرة بأن يحافظ عليها. ولكن الأفضل للزيجات أن تذهب في غاية أبعد من الحب. لأن حب

١- نفس المصدر ص ١٤٥/١٤٧.

شخصين لبعضهما البعض ضيق كثيراً ومنفصل عن المجتمع ولا يصلح الحب أن يكون بمفرده الغاية الرئيسية في حياة فاضلة."[1]

وخلاصة القول إن العلاقات غير الجدية مضرة، والمهم في الأمر هو أن يجد الرجال والنساء عاجلاً أم آجلاً، أفضل علاقة تتناسب مع طباعهم. المهم أن يعرف الإنسان مسبقاً ما هو الأفضل. "ولكن مع تزايد الميول التي تبرزها الحياة المتمدنة، تزداد صعوبة إيجاد الإنسان الذي يجلب السعادة. ولكن هذه السعادة لا تكون بالعلاقات الجنسية العابرة لأنها تشوش الإنسان ولا تجلب له الاكتفاء الجنسي، ويبقى امتزاج الحب والأولاد والحياة المشتركة ضمن حدود الزواج. هو أفضل العلاقات. وحين يتم فصل الحب عن الأولاد والحياة المشتركة، تتعسر الحياة، لأن العلاقات الجانبية تسبب آلاماً لا لزوم لها. وتؤدي إلى فشل الزواج فشلاً لا بد منه، ولا علاج له في أكثر الأحيان إلا بالطلاق".[2]

أما "روسو" فيرى أن الحاجات المتعددة والمختلفة عند الإنسان قد تتغير من حيث أهميتها النسبية فتصبح الحاجات التي كانت قليلة الشأن في الماضي حاجات جوهرية بمرور الوقت، ولا يعني روسو الحاجات المزاجية المتقلبة بل يشير إلى الحاجات الأساسية للنمو والتطور وخبرات الحياة ويعدد روسو أربع حاجات تضغط على الزواج :

١. ضغوط النمو الداخلي وتأثيراته، وتبزغ من خلاله وبمرور الوقت حاجات الإنسان الكامنة، ومهاراته، وقدراته كنتيجة طبيعية لعامل النضج.

١- نفس المصدر ص ١٠٠.

٢- نفس المصدر ص ١٥٨.

٢. هنـاك ضـغوط التفاعـل وتـأثيرات ذلـك التفاعـل الـذي يـأتي مـن الاتصال المتبادل بين الزوج والزوجة خلال عملية التوافق الزوجي أي إنـه يـأتي مـن المسـرات والإحبـاط ومـن المتعـة وخيبـة الأمـل ومحاولـة التكيف من أجل استمرار الحياة الزوجية.

٣. ضغوط الأدوار الجماعية الجديدة وما يتبعها من ارتباطات سواء داخل الأسرة (والد، والدة) أو خارجها (مكانة جديدة في العمل أو في الجماعة) لتؤثر أيضاً في حاجات الإنسان.

٤. ضـغوط الخبـرات الأخـرى الكبـرى فـي الحيـاة مثـل الصـدمات المختلفة والنجاح والفشل في تحقيق الأهداف[١].

ولكن قناعة الفرد تتغير بمرور الزمن فيرضى بأشياء كان يرفضها في الماضي والمجتمعات تتعرض من حين إلى آخر لمرحلة تغير سريع للقيم والتقاليد يؤدي إلى عدم تكيف البعض مع هذا التغير المفاجئ لأن القيم عادةً لا تتغير بسهولة ولهذا يصبح في المجتمع مجموعات غير متجانسة من حيث مواكبة التغيير فيحدث تصارع بين هذه الفئات يؤدي إلى نوع من التفكك الأسري، وخاصة عندما تكون هذه الثقافات الوافدة غير مكتملة في أذهان البعض فيتبعونها بشكل عفوي دون النظر إلى خلفياتهـا سـواء كانـت إيجابيـة أو سـلبية. وهـذا يخلـق صـراعاً خفيـاً فـي المجتمع بين هذه الفئات، وأحياناً بين أفراد الأسرة الواحدة.

وكذلك مسألة الحرية الشخصية للشباب تتفاوت بين أسر محافظة متمسكة بالقيم والعادات والأعراف، وأسر تواكب التحرر من العادات، ونتيجة لهذا التحول تظهر أنماط أسرية جديدة ذات مضمون مختلف عن

١- الساعاتي سامية، الاختيار للزواج، دار النجاح، بيروت، ١٩٧٧ ص٢٠٨.

الواقع التقليدي السائد. يؤمن بعضها بالقيم القديمة، ويؤمن البعض الآخر بالقيم الجديدة، وهذا يؤدي بالبعض إلى الفشل في التمييز ما بين الحرية الشخصية في الاختيار، وما بين احترام قواعد السلوك الأخرى المتبعة وحرية الآخرين. وهذا يؤدي حتماً إلى التمايز بين الأفراد من حيث الاعتقاد والتصرف.

الفصل الرابع

قوانين الزواج والطلاق في لبنان

تخضع قوانين الزواج والطلاق في لبنان إلى مجموعة من القوانين المذهبية. وليس في لبنان قانون مدني للزواج.

كما أن الطوائف اللبنانية جميعها تعارض تدخل الدولة في أحوالها الشخصية. وتعترف كلها ببطلان الزواج رغم الاختلاف ببعض وجهات النظر حول حل رابطة الزواج. عند الطائفة الكاثوليكية يُمنع الطلاق ويستعاض عنه بالهجر. وفسخ الزواج يتم في حالة الزواج الغير مكتمل أي قبل الاتصال الجسدي، وفي حال رفض أحد الزوجين العماد بالماء ـ أي عدم التكافؤ بالإيمان ـ، وفي حال إثبات الزنى. ويتم فسخ الزواج بعد الحصول على إذن بالتفريق أو التفسيح من السلطة الروحية المختصة أي الحَبر الأعظم وبناءً على طلب الفريقين أو أحدهما ولو مانع الآخر في ذلك، وهذا التفسيح هو خلاصة اتجاهين في الرأي، الأول اتجاه مدرسة باريس القائل بأن الزواج يقوم على الرضى المتبادل ويصير سِراً غير قابل للانحلال وإن لم يكتمل بالمجامعة. والثاني اتجاه مدرسة بولونيا القائل بأن الزواج يقوم

بالمجامعة ولا يصير سِراً دونها، وأنه قبل المجامعة يبقى غير مكتمل وقابلاً للانحلال، والكاثوليك لغاية اليوم يعملون بهذا الرأي.

عند الطوائف الأرثوذكسية يُسمح بطلب فسخ الزواج في بعض الحالات مثل الزِنى، أو إذا اعتنق أحد الزوجين ديناً آخر، أو إذا حُكم على أحدهم بعقوبة السجن مدة ثلاث سنوات، أو إذا وقع الزواج بالإكراه، أو إذا اختار أحد الزوجين العيشة الرهبانية.

وفي بعض الحالات يَستخدم الأساقفة "التدبير" لمواجهة أو لتجاوز بعض القيود الضيقة التي تفرضها حرفية الشرع للتوفيق بين عقائد الإيمان الأساسية وبين بعض الظروف الخاصة. "التدبير" هو كل خروج عن دقة القوانين الكنسية، ولكل كنيسة أرثوذكسية مستقلة الحرية في أن تحدد مفهومها الخاص للتدبير تجاه القوانين التي سبق تشريعها. ويُعتبر التدبير منسجماً مع روح الحرية والمصلحة العقلية والروحية لأولئك الذين تسبب لهم الدقة القانونية آلاماً ومشكلات ، مستندين إلى قول المسيح عليه السلام " السبت جُعل من أجل الإنسان لا الإنسان من أجل السبت" و هذا التدبير الخاص تعتبره الكنيسة جزءاً من محبة الله للناس.

عند الطائفة الإنجيلية: يُسمح بفسخ الزواج في حالة الزنى وفي حالة الجنون، وفي حالة القتل، وفي حالة اعتناق دين آخر، وحالة الغياب لمدة خمس سنوات والانقطاع عن المساكنة لمدة ثلاث سنوات.

ونلاحظ أن اعتناق دين آخر هو من مسببات فسخ الزواج عند الطوائف المسيحية و هذا السبب يُستخدم كمبرر للحصول على الطلاق عند بعض الأشخاص.

الطلاق عند الطوائف الإسلامية:

يمكن أن يحصل الطلاق شِفاهاً أو كتابة، ويمكن طلب التفريق في حالات المرض المعدي، أو الجنون، أو العجز أو ابتعاد الزوج أو الزوجة عن المنزل مدة طويلة، وفي حالات العنف، والزنى المثبت بشهادة أربعة شهود مؤمنين صادقين يمكن الأخذ بشهاداتهم، والزنى في نظر الإسلام كما في نظر المسيحية، يعتبر جريمة. فالزاني والزانية يجلدان ويرجمان باعتبار أنَّ هذا الفعل يعرض النسل للخطر.

والتشريع الإسلامي يبيح تعدد الزوجات باستثناء التشريع الدرزي.

ومن الشروط الأساسية لعقد الزواج عند جميع الطوائف هو رضى الزوجين وقبولهما.

الفصل الخامس

أسباب مشكلات الزواج

تتعدد أسباب مشكلات الزواج ولا يمكن حصرها في خانة واحدة أو بمسبب واحد فللبشر احتياجات ومشاعر مختلفة، وخبرات متفاوتة، ولهذا فإن الرؤى تختلف اختلافاً جوهرياً، فما يُسعد بعض الأشخاص قد لا يُسعد البعض الآخر، ولكن معظم الدراسات حول هذا الموضوع أثبتت أن المشاكل تتضاعف بين الأزواج الذين يعانون من مشكلات نفسية أو اجتماعية. وحين يعجز الشخص عن تحقيق التوافق في أبسط الأمور قد لا يحقق التوافق مع الشريك.

١. **الأسباب الحيوية :** وتشمل اختلاف الزوجين حيوياً كما في اختلاف العامل الريزسي في الدم، وعدم التكافؤ الجنسي، والعجز الجنسي، والعقم، وسن العقود، والشيخوخة.

٢. **الأسباب النفسية**: ومنها الخبرات العاطفية الأليمة نتيجة لفشل حب أو خطوبة أو زواج سريع سابق فاشل، أو صدمة عاطفية، أو فقد ثقة معممة على الجنس الآخر كله، والحرمان والجوع الجنسي (رغم الزواج)

والملل والروتينية، والتعود على السلوك الجنسي الشاذ، والخوف من الوحدة كما في حالات الطلاق والترمل، وزواج المراهقين ممن لم تنضج شخصياتهم بعد، وعدم القدرة على تحمل المسؤولية.

٣. الأسباب البيئية: وهي كثيرة جداً ومنها العادات والتقاليد مثل زواج الأقارب وزواج البدل، ووجود خطأ في الأفكار أو أفكار خرافية لا أساس لها من الصحة، وتأخير الزواج حتى تزويج الأخوات، والانتقال أو الاستغراق في عمل أو فن، أو الاشتغال بمهن يخشى معها عدم نجاح أو استقرار الزواج كما في حالة البحارة والمضيفين والمضيفات، والتخوف مما يرى من زيجات فاشلة، واتخاذ صورة مثالية غير واقعية يعيش الفرد آملاً في تحقيقها حتى يفوته القطار مثلاً، والمغالاة في المهور وتكاليف الزواج، ومشكلات السكن، وعدم التوفيق في اختيار الزوج والعنوسة، والإحجام والإضراب عن الزواج، والتفاوت وعدم التكافؤ بين الزوجين، والاختلاط الزائد والتجارب قبل الزواج، واضطراب العلاقات الزوجية، والتعرض لأسباب الغواية، وحب المغامرة والتجريب، والشك وسوء التفاهم وسوء المعاملة والشجار الدائم، والطلاق، والترمل والعزوبة بعد الزواج من جديد، والزواج المتسرع، والزواج الجبري، وزواج المبادلة، وزواج الغرض، والزواج القائم على الغش، والزواج العرفي، والأم غير المتزوجة، والأب غير المتزوج، والاتجاهات السالبة نحو الزواج، ونقص التربية الجنسية، ومشكلات الزوجة العاملة، ومشكلات تنظيم النسل، وتدخل الحماة والأقارب في الحياة الزوجية، وتعدد الزوجات، والخيانة الزوجية، ونقص الأخلاق والدين، وسجن أحد الزوجين."[١]

١- زهران حامد عبد السلام، الصحة النفسية والعلاج النفسي، دار المعارف، الطبعة الرابعة، القاهرة، ١٩٨٨ ص٥٣٨.

٤. **الناحيــة التربويــة** النفسـية**:** فـيمكن أن نخـص أسـباب الخلافـات الأسرية بثلاثة عوامل:

١. العصـبية الزائـدة: وبسـبب العصـبية يتحـول الاسـتياء إلـى مشـادة كلامية ومن ثم إلى خلاف.

٢. فقدان أسلوب حوار سليم بين أفراد العائلة، لا أحد يسمع لأحد، ولا أحد يسمع ماذا يقول الآخر، فيتحول الحوار إلى فرض و وصاية أو إسـداء نصـائح أو تهجـم، ويصـير جـدالاً لا يخـدم عمليـة التواصـل بـين الأفـراد. وفـي دراسـة امتـدت لعشـرين سـنة تبـين أن الشـباب يتجـه إلـى الانحراف بسبب فقدان العطف والحنان، وفقدان أسلوب التحاور بين الشباب وآبائهم.

٣.سـوء العلاقـة الحميمـة بـين الـزوج والزوجـة، وهـذا السـبب مـن الأسباب الغير معلنة، إلا أنها من أهم الأسباب في نشوب خلافات زوجية دائمة ومتكررة. أما إذا كانت العلاقة الحميمة بين الزوج والزوجة سليمة وفيها تجاوب جيد بين الطرفين يمكن لعاملي العصبية وسوء الحوار أن يشحنا الأجواء المنزلية بخلافات عديدة لكنها في الغالب لا تؤدي إلى انفصال وطلاق[١].

بعض العوامل التي لها تأثير مباشر على الزواج

١. بداية المشكلة تكمن في الاختيار

إن كثيراً من الناس لا يسألون عن سمات الزوج وطباعه أو طباع الزوجـة بـل يسـألون عـن المركـز الاجتمـاعي والمسـتوى الاقتصـادي. ويتسابقون إلى إقامة الحفلات للعرس على سبيل التباهي أمام الناس.

١ـ عبلة بساط، مهارات في التربية النفسية، الطبعة الأولى، دار المعرفة، بيروت، ٢٠٠٢، ص١٠٦.

إن المشكلة هي مشكلة الاختيار، وإن البحث عن الجوهر ليس بالأمر السهل ولا يمكن معرفة السمات إلا بعد إزاحة الستار عن كل هذه القشور المادية - أو ما يمكن تسميته بصفقات الزواج والنظر بجدية إلى الأمور المعنوية والذاتية لكل من الزوج والزوجة.

يقول ألبورت "ليس من المأمون أن نصف الشخصية الإنسانية بصيغة الأدوار، أو الوظائف، أو المراكز الاجتماعية، أو بأية سمات اجتماعية أو ثقافية، فعندما نقول أن ماكس، مزارع ريفي، كاثوليكي، أو طبيب إيطالي، أو مدير أعمال، أو عضو من طبقة متوسطة، فنحن بذلك لا نصف شخصيته، فقد يكون منحرفاً حيث أن سماته الذاتية هي التي تنظم الآن شخصيته".[١]

هناك الكثير من الشباب يعرضون عن الزواج رغم توقهم لبناء أسرة بسبب الكلفة الباهظة للزفاف، وبسبب الطلبات الكثيرة لأهل العروس. فالمزايدة أصبحت سمة واضحة في سلوك الجماعة. وعدم التساهل في النفقات التي تصرف في أمور غير أساسية (كثوب الزفاف، والحفلات، وعلب الحلوى...) تدفع المقبل على الزواج إلى الاستدانة، ويصبح في حالة توتر حين يعجز عن تسديد الأقساط المتراكمة،مما يجعل الحياة الزوجية مجموعة من المشاحنات والمشاكل.

والرسول عليه السلام يقول: "إن أعظم النساء بركة أيسرهن صداقاً"

فالتفاهم حول الأمور المادية شرط أساسي من شروط الزواج يجب التوافق عليه.

كما أن الاهتمام بالكماليات والمظاهر دون النظر إلى الضروريات

١- الأشول عزالدين، سيكولوجية الشخصية، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة ١٩٧٨ ص١٢٦.

سيؤدي حتماً إلى خلل في مكان ما، إن التفكير المنطقي والوعي هما الأساس لبناء علاقة ناجحة، حتى لو اختلفت الصفات أو الأمزجة. فلا توجد شخصية حتى في التوائم المتماثلة لها نفس الطبائع أو السلوك فسمات كل شخص هي في جوهرها متفردة. ويجب التفريق بين السمات والمزاج. فالسمة هي بعض النزعات والميول الدائمة، أما المزاج فهو حالة وقتية عابرة، ولا يمكن تكوين فكرة عن أي شخص في موقف محدد وطارئ.

مثلاً النظرة الأولى لطالب الزواج تكون من خلال هندامه ومظهره وطريقة حديثه ولا يُنظر إلى أبعد من ذلك، وهذا هو الخطأ الفادح الذي سيؤدي حكماً إلى إثارة المشاكل فيما بعد.

"ولكي نتفهم الكائن البشري يجب أن يكون لدينا معلومات وبيانات حول خبراته الهامة. وبما أن العديد من هذه الخبرات تحدث في داخل إطار الأسرة التي ولد فيها فإنه يمكننا بالتالي أن نفترض أن الأسرة هي المحدد الحاسم للشخصية التي يكونها الوليد البشري... وفي الأسرة يتعلم الطفل مهارات متنوعة وطرقاً للسلوك... كما أن الوظيفة الجوهرية للأسرة هي تطبيع وليدها ميكانزم التطبع الاجتماعي."[١]

"أن الشخص الذي نشأ في أسرة كانت تعاني دائماً من ألوان كثيرة من النكد والمعارك المستمرة بين والديه. هذا الإنسان عندما يكبر ويتزوج يسعى دون أن يشعر إلى خلق المشاكل لا في حياته الخاصة فقط ولكن في حياته العامة أيضاً. والإنسان الذي كان يلعب في طفولته دور الضحية لخلافات الأبوين ويتألم لذلك يصبح جلاداً في الكبر ويجد لذة في ممارسة هذا الجلد النفسي للآخرين وهذا النوع يُتوقع دائماً أن تكون

١- نفس المرجع ص١٩٧.

حياته الزوجية مليئة بالنكد والخلافات، والصراخ، وجرح كرامة الآخر."[1]

"إن الأطفال الذين يمرون بتجربة انفصال آبائهم ينخفض مستوى تحصيلهم الدراسي، وتنخفض دخولهم ويزداد احتمال تعطلهم، وأن يعملوا عندما يكبرون- بأعمال أقل تميزاً من نظرائهم الذين نشؤوا في كنف والديهم (ماك لانهان وساندفور ١٩٩٤، ودرونكرز ١٩٩٥، وجونسون وغالر ١٩٩٧، وأليوت وريتشاردز ١٩٩١، وكيرنان ١٩٩٧). ونجد أن الفتيات اللاتي مررن بتجربة طلاق الوالدين يزداد لديهن الاحتمال أكثر من نظيراتهن ممن لم يعرفن هذه التجربة- أن يبدأن العلاقات الجنسية في سن مبكرة، وأن يلدن في فترة المراهقة، وأن ينجبن أطفالاً خارج علاقة الزواج. (كيرنان وهوبكرافت ١٩٩٧، وكيرنان ١٩٩٢، وشيرلين، كيرنان وتشيز لانزديل ١٩٩٥، وكيرنان ١٩٩٧). وأن الشباب والشابات المنتمين إلى مثل هذه الأسر يزداد لديهم احتمال التعرض لانفصام علاقاتهم الزوجية.(مولر وبوب ١٩٩٧. وكيرنان ١٩٨٦. وغلين وكريمر ١٩٨٧، وكيرنان وشيرلين ١٩٩٩).

والخطأ الثاني والأهم والذي لا يتم أخذه بعين الاعتبار أثناء فترة التعارف والخطوبة هو التغاضي عن كثير من العيوب، التي يتم اكتشافها لدى الطرف الآخر، ولا أحد يعترف بوجود هذه العيوب إلا بعد الزواج وإنجاب الأطفال. والدليل على ذلك:

"الزوجة لا تفهم مصدر الخطأ في علاقاتها بزوجها، وهو شعورها أن

١- بنجامين سبوك، حديث إلى الأمهات، الطبعة الأولى، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ١٩٨٦ ص٣٣٠.

الزوج ليس فيه صفة واحدة تستحق الإعجاب وأنها اكتشفت ذلك بعد الزواج مباشرة، أن ذلك القول في رأيي غير صحيح تمام الصحة، لأنني لا أشعر أن هناك إنساناً يتمتع بمثل هذه القدرة الخارقة على التمثيل أثناء فترة الخطوبة، فكيف لم تلاحظ الزوجة بعض عيوب الزوج قبل الزواج... وإذا كان الزواج قد وصل إلى هذه الدرجة من السوء فلماذا استمرت حياة الزوجين تحت سقف بيت واحد لا يجدان فيه أي متعة، ولماذا ينتظران إلى أن يرزقا بأطفال وإذا كانت قد اكتشفت كل هذه العيوب فور بداية الزواج فلماذا استمرت فيه ولماذا أنجبت من هذا الرجل الذي لا يتمتع بميزة واحدة."[1]

يجب أن يعرف الطرفان في كل زواج قبل أن يتم مزايا وعيوب الآخر، وعلى كل واحد أن يرسم لنفسه الأسلوب الذي يمكن أن يتكيف به مع هذا الزواج. وكلما تقدم عمر الزواج يشعر كل طرف بأنه قد ازداد فهماً للآخر، وتصبح العاطفة الأسرية المرتكز الأساسي الذي يدعم استمرارية الزواج، وقبول الآخر؛ لأن السعادة في الزواج هي نتيجة الجهد المشترك الذي يبذله الزوجان للتكيف مع بعض السمات التي يصعب تغييرها.

لذلك يمكن اعتبار فترة الخطبة مؤشراً هاماً لمعرفة مدى التوافق بين الخطيبين شرط أن تكون هذه الفترة للتفكير، وليس للعواطف أو الأحلام، لأن التعارف يجب أن يقوم على الفهم المتبادل والصدق، كي يتمكن الخطيبان من اكتشاف احتمالات الصراع في المستقبل للعمل على تجنبها.

وفي دراسة قام بها "بيرجيس ووالن" حول التشابه في اعتناق الأفكار

١ـ المصدر نفسه ص٣٣٢.

والاتجاهات والمفاهيم المتعلقة بالزواج، أشارت البيانات المقدمة في هذا البحث إلى أن الزيجات المتجانسة تحدث بتأثير من العوامل الاجتماعية، مثل المعتقدات الدينية، وبيئة الأسرة، والسلوك أثناء الخطبة المبدئية، والمفاهيم والاتجاهات التي تدور حول الزواج والمشاركة الاجتماعية، والعلاقات الأسرية. وإن درجة التشابه بين الشريكين، كانت أعلى ما تكون في السلوك المتأثر بالدين والمعتقدات الدينية، يليه في المرتبة السلوك المتأثر بالخلفية الثقافية للأسرة. وثم استبعاد أي أثر لتأثير العلاقة الزوجية والخبرة المشتركة في التجانس وذلك باتخاذ استجابات الخاطبين أساساً للدراسة وعدم تطبيق هذا البحث على المتزوجين، لأن الارتباطات العالية التي وجدت بين المتزوجين في دراسات على الاتجاهات والقيم قد تكون راجعة إلى العوامل التي تنشط بعد الزواج.

وعلى الرغم أن فترة الخطبة أقل من مدة الزواج، إلا أنها تعمل على إيجاد تشابه في السلوك والاتجا هات، وذلك نتيجة الانصهار المتبادل الذي يحدث أثناء فترة الخطبة.

وتتفق النتائج التي توصل إليها "بيرجس و والن" مع النتائج التي توصل إليها باحثون آخرون فيما يتعلق بالزواج المتجانس.[1]

وقد أجرى كل من "تيرمان" و "بتن ويزر" و "كيرباتريك" بحوثاً مختلفة لمعرفة صلة التشابه بين شخصيتي الشريكين في التوافق، فوجدوا أن احتمال سعادة الزوج والزوجة تزيد إذا ما كانا متشابهين في الاتجاه نحو تجنب "المجادلة".

وتبين الدراسة أيضاً أن شديدي الشقاء في حياتهم الزوجية بينهم

١- الساعاتي سامية، الاختيار للزواج، دار النجاح، بيروت، ١٩٧٧ ص١٥٣.

اختلافات واضحة في أمور تتضمن الشأن الديني وأشياء تدور حول فلسفة الحياة.[1]

ويرى "نيمكوف" أن سبب التجانس الفيزيقي بين الشريكين يرجع إلى تجانسهم في الجنس والدين والمكانة الاجتماعية والاقتصادية وعملية الاختيار تتم في نطاق جغرافي محدد ولذلك فالسمات تكون متشابهة إلى حد كبير وخاصة في المجتمعات التي تستنكر الزواج من خارج الجماعة فأعضاء هذه الجماعات المغلقة نوعاً ما يشعرون بالتآلف فيما بينهم نظراً للخلفية العنصرية والطبقية الدينية والثقافية ويرى "نيمكوف" أن الأفراد المتشابهين يزيد احتمال التقائهم عن الأشخاص المختلفين[2].

وقد حاول ستروس اختبار نظرية فرويد عن الصورة الوالدية أو التماهي بالوالدين من خلال دراسة عن مدى التشابه الفيزيقي والتشابه في الآراء والمعتقدات وكذلك التشابه في الخلق بين الشركاء والوالدين.

ووجد ستروس تشابهاً بين أحد الوالدين والشريك في الخصائص الجسمية والآراء والخلق والشخصية ووجد أن هناك سمات خلقية معينة بين أحد الوالدين والشريك مثل التغلب على الصعاب بسهولة والشعور بالواجب والثقة بالنفس، وتؤيد هذه النتيجة النظرية العامة للصور الوالدية (الوالد ـ الوالدة) التي تؤثر على اختيار الفرد لشريكه في الحياة[3].

أما "كيوبي" وهو أخصائي في مشاكل الزواج يعتبر أن القدرة على الاختيار السليم تتوقف على العمليات التطورية التي يجب أن تبدأ في

١- نفس المرجع ص١٥٩.
٢- نفس المرجع ص١٦٣.
٣- نفس المرجع ص٢١٥.

السنين المبكرة والتي تؤثر في معدل النضج وكذلك في الانسجام أو التناغم النهائي بين المكونات الشعورية والمكونات اللاشعورية أي أن يتعمق الشخص في معرفة ذاته وسبر أغوارها، كي يحقق نضجاً عاطفياً مبكراً يتلاءم مع نضجه العقلي والجسمي.

إن عدم التجانس في الطباع والميول والأفكار بين الزوجين يجعل حياتهما شبه مستحيلة، وخاصة عند الأشخاص المتعصبين لأفكارهم وغير المرنين، التعصب يخلق صعوبات نفسية تؤدي إلى عدم التوافق، لأن المتعصبين يتميزون بالتوتر والتسلط الذي يصعب على الطرف الآخر تحمله.

٢. تأثير الدين

يعتبر الدين المؤشر الأكثر أهمية الذي يعمل على تغيير النماذج الاجتماعية فالدين شخصي إلى حد ما واجتماعي إلى حد آخر. فما زال السؤال الأهم في معظم المجتمعات عن طالب الزواج هل هو من نفس الطائفة؟ هل هو متدين؟. إن الكثيرين من علماء الاجتماع والمؤرخين رأوا في الدين مفتاحاً لتغيير قسم كبير من عادات وحياة الشعوب مثل "دوركهايم" و "فوسيل دي كولانج" "وماكس فيبر" الذي فسر في كتابه "الأخلاق البروتستانتية وروح الرأسمالية" كيف ساعد الإصلاح الديني على ازدهار الرأسمالية. و"أندريه سيغفريد" ينضم إلى النظرة القائلة بأهمية الدين الراجحة في حياة المؤمنين. ويعتبر "يونغ" أن طاقات الإنسان هائلة، وتركيبه المعقد يتخطى العلوم الفيزيائية والفيزيولوجية، فالإنسان بالنسبة له يتكون من جسد وروح وليس مجرد شخص يحوله الموت إلى جثة، وسؤال "يونغ" هو " كيف يمكن للشخص أن يكتشف شخصيته، أن يكونها، يطورها ويهذبها ليتحد مع نفسه أو يصبح نفس هويته" إن

طاقات الإنسان بالنسبة ليو نغ تتخطى حدود الفيزيولوجية فلا يمكن معرفة شخصية الإنسان إلا من خلال معرفة بيئته وثقافته، مع الأخذ في الحسبان العناصر الرمزية والأسطورية التي تدخل في تكوين الشخص. فالتفسيرات العقلانية أو الحتمية هي تفسيرات مجتزأة، بينما يعتبر أن الأحلام والنزوات هي الأنماط الأساسية التي تنطبق على الشخصية الحقيقية للإنسان.

وكل شعب يعتبر أنّ معتقداته هي الصحيحة، وأن ديانته الخاصة هي أفضل الأديان؛ ولكن بدرجات متفاوتة. وعندما ندرس ديانات الشعوب نستطيع أن نكتشف طبائع تلك الشعوب، والطقوس الدينية تختلف بين شعب وآخر، ولكن هناك توافقاً بين كل الأديان على ضرورة اتِباع تعليمات ومفاهيم أخلاقية تنظم سلوك الجماعة، سعياً للتقرب من الله. ومن يخالف وصايا الرب لا يحصل إلا على اللعنة ويُنبذ من الجماعة؛ والشخص الذي يسلك طريق الشر تمتلئ حياته بالأفكار الشريرة؛ أما الذي يسلك طريق الخير والحق سوف يبلغ الكمال والخلود. فالصراع بين الخير والشر قد وجد مع وجود الإنسان على هذه الأرض لكبح الشهوات، وتخفيف العنف، والحد من الأنانية والتسلط.

وفي كل الأديان يعمل الناس على مراعاة المثال الخُلقي الأعلى المطلوب وهم على استعداد بالتضحية بأي مبدأ في سبيل العقيدة، والواجب الديني عند المؤمن يصبح من الأمور المحببة المرتبطة بالقلب والروح، ولهذا لا يبقى الواجب الديني عبئاً بل يصبح الواجب فرحاً وسعادة. فالعقائد الدينية عند معظم الشعوب تفرض نفسها بشكل مُلفت، فكثير من العلاقات الزوجية التعيسة تستمر بسبب التمسك

بالتعاليم الدينية، فهناك بعض الأزواج يكرسون حياتهم في سبيل المحافظة على الأسرة، ومن نماذج التضحية ما كان شائعاً في الهند حين تُلقي الأرملة نفسها في النار لتَحترق مع جثة زوجها المتوفى كي تَحصل على البركة. فالمحاذير الدينية تُعتبر أهم رادع يتحكم في مصير الناس، وفي سلوكهم؛ وهذه المحاذير تَعمل على كبح الرغبات، وتعزيز الإرادة، وتجعل من الصبر فضيلة. والشخص الذي يحيا حياة الدين يُعتبر أكثر أمانة للدين من الشخص الذي لا يعرف شيئاً عن الدين أو يعرف عنه نظرياً فقط. ولا تعارض اليوم بين الدين والعلم فكل المحاذير الدينية سواء كانت صحية أو نفسية أم حقوقية إذا تعمقنا في دراستها نجد فعلاً مدى ضررها على حياة الناس. ويبدو أن هناك ارتباطاً قوياً بين الشعور بالرضى الديني والتعلق بالدين وبين السعادة الزوجية.

"وقد أوضحت دراسة إنجليزية أن ٩١% من النساء المترددات على الكنيسة يعبرن عن سعادة شديدة في الزواج. وذلك مقابل ٦٢% ممن لا يذهبن إلى الكنيسة. ويقل معدل الطلاق كثيراً لدى المتدينين، ويعود هذا جزئياً إلى أن الطلاق غير مقبول أو ـ ممنوع ـ في معظم المذاهب الدينية المسيحية. ومن النتائج الأمريكية الحديثة أن المتدينين يشعرون بالوحدة أقل من الآخرين".[١]

"إن انحلال الدين المتثبت بعقائده (الدوغماتيكي) أكان خيراً أم شراً هو أكثر الحقائق أهمية في العالم المعاصر، بالكاد بدأت تظهر نتائجه ويستحيل علينا أن نعرفها، ولكن من المؤكد أنها ستكون عميقة

١ـ سيكولوجية السعادة، مصدر سابق، ص١٦٤.

وبعيدة المدى".[1]

وإذا أخذنا آراء مؤرخ معاصر عايش المشكلات الراهنة مثلاً "توينبي" يقول:

"الذين يعتبرون الأديان سرطانات مخطئون فإن السرطان الحقيقي هو أن تحل المذاهب أو الإيديولوجيات السياسية محل الأديان، لا أن تحل الأديان محل الإيديولوجيات، إن سيطرة الإنسان على الطبيعة لا تقل أهمية من إثراء الجانب الروحي فيه، ولا أمل في استقرار السلام أو طمأنينة الإنسان إلا بالاستناد إلى الدين".

وإذا نظرنا إلى معظم الحضارات نجد أن الدين هو الظاهرة الأهم في حياة كل الشعوب على مر الزمان من الحضارة الصينية إلى المصرية ثم اليونانية وعصر التنوير إلى حدود يومنا هذا.

وخلاصة القول أن نظرة التشاؤم السائدة في مجتمعاتنا اليوم تعود إلى عدم إشباع الجانب الروحي، والجانب الخُلقي في حياة الإنسان. وعبارة السيد المسيح هي الأكثر تعبيراً عن هذا الواقع ﴿وليس بالخبز وحده يحيا الإنسان﴾.

٣. عدم معرفة الاختلافات بين الجنسين

لا بد للشخص المتطلع نحو الزواج من معرفة الاختلافات القائمة بين الجنسين، لأن عدم المعرفة بهذه الاختلافات تؤدي إلى سوء فهم للطرف الآخر وهذا يسبب المشاكل. وخاصة في بداية الحياة الزوجية.

يجب أن يكون المقبلون على الزواج على معرفة تامة بوجود اختلافات جوهرية بين الجنسين، ويجب أن يعملوا على التكيف مع هذه الاختلافات

١- أسس لإعادة البناء الاجتماعي، مرجع سابق، ص١٦١.

بدلاً من المطالبة بضرورة تغيير الطرف الآخر أو أخذ مكانه فلا يمكن للمرأة أن تأخذ مكان الرجل والعكس صحيح ومطالبة النساء بحقوق مشابهة لحقوق الرجال هي عمل خاطئ. فالاستقرار بين الزوجين لا يمكن التوصل إليه إلا من خلال التوافق والرضى بالأمر الواقع والتمرد على الطبيعة يوقع صاحبه في متاعب ومشاكل لا حصر لها.

مع أن كل شخص يمكن أن يوافق على أن الرجال والنساء مختلفون، إلا أن مدى الاختلاف هو الذي لا يعرفه أكثرية الناس. لقد ظهر العديد من الكتب التي تتحدث عن هذا الموضوع في محاولة لتعريف وتحديد الاختلافات بين الزوجين. إلا أن العديد من الكتب جاءت أحادية الجانب وأدت لسوء الحظ إلى تعزيز حالة عدم الثقة والامتعاض من الجنس الآخر، بدل أن تساعد على تحديد أوجه الاختلاف كي يتم التوصل إلى التوافق.

"إن تحسين العلاقة بين الرجل والمرأة يستدعي فهم واستيعاب الاختلافات والفوارق التي تعزز الثقة بالنفس وكرامة الشخصية مع توطيد الثقة المتبادلة والمسؤولية الشخصية والتعاون والحب... ومن خلال معرفة أوجه الاختلاف بين الرجال والنساء، نستطيع أن نتعلم طرقاً جديدة لإقامة الاتصال مع الجنس الآخر والاستماع إليه ومساعدته عند اللزوم. وسوف نتعلم خلق الحب الذي نستحق... فالرجال والنساء ليسوا مختلفين فقط في طريقة الاتصال، بل هم كذلك في طريقة التفكير والإحساس والإدراك، وردود الفعل، والحب، والحاجة، والتقدير. إنهم يبدون كما لو كانوا من كواكب مختلفة، يتحدثون لغات مختلفة، يحتاجون أشياء مختلفة... ومن شأن هذا الفهم الشامل لأوجه الاختلاف

بيننـا أن يسـاعدنا فـي حـل الكثيـر مـن المصـاعب التـي تواجهنـا فـي محاولتنا لفهم الجنس الآخر، أو التعامل معه، فعندما تعرف أن شريكك مختلف عنك كما لو أنه من كوكب آخر، فإنك تسترخي وتعمل على التعاون بدلاً من المقاومة أو محاولة التغيير."(١)

إن محاولة البرهنة على عدم وجود اختلاف بين الرجال والنساء من الأخطاء الفادحة في مجتمعاتنا، وحين تحاول المرأة استغلال الرجل من الناحية الجنسية لإخضاعه تفقد هويتها كامرأة وتصبح عدوة نفسها فهي بهذه الوسيلة تسبب الإذلال لنفسها ولكل النساء، فالتحرر من عبودية الرجل لا يكون بتكريس عبودية أخرى هي عبودية الغرائز، ولم تستطع الحضارة المعاصرة إزالة هذه النظرة إلى المرأة باعتبارها مفهوماً جنسياً ويتعزز هذا الاتجاه من خلال بعض وسائل الإعلام وبعض المجلات والكتب الرخيصة التي تساهم في تزييف وعي المرأة التي تتخذ من شكلها وسيلة للإيقاع بالرجل ولتحقيق بعض المآرب الشخصية. والرجل يصبح عدو ذاته إذا لم يدرك أن المرأة التي تتعرض للإهانة بشكل مستمر سوف تتحـول إلـى كـائن ملـيء بالحقد والكيد والمراوغـة. وحـين نـدرك طبيعـة الاختلافـات بـين الرجـال والنسـاء وحـين يفهـم كـل واحـد حاجـة شـريكه نكتشف سبلاً كثيرة لتحسين العلاقات بين الأزواج فالغضب يأتي من عدم فهم وجهة نظر الآخر. المرأة تحتاج إلى القبول والحب والتقدير تحب أن يسمعها الرجل وأن يعطيها الاهتمام وهي تشعر أنها غير محبوبة إذا لم يستمع إليها الرجل. والرجل لا يحب أن تُقدم له النصائح من زوجته وكأنه طفل، ويحتاج إلى ثقة زوجته وقبولها حتى يتحسن، والرجال لا يحبون طرح الأسئلة عندما

١- جون جراي، الرجال من المريخ والنساء من الزهرة، دار الأصل، ١٩٩٩، ص٣.

يكونون في حالة توتر ويفضلون الصمت.

٤. تأثير تفاوت المستوى الثقافي والاجتماعي

يجب أن يتم الاختيار للزواج على أساس التوافق الفكري والتقارب الثقافي، سلوك الأفراد يختلف باختلاف المجتمعات والتفاوت الثقافي يخلق توترات تؤدي إلى خلل في العلاقة بين الزوجين، وتكون الراحة والطمأنينة أكثر احتمالاً بين الأزواج ذوي الخلفية الاجتماعية المتقاربة، فالتشابه يعمل على خفض التوترات بنسبة ملحوظة.

وقد أجرى كل من "تيرمان وبتن" بحوثاً مختلفة لمعرفة صلة التشابه بين شخصيتي الشريكين فوجدا أن احتمال سعادة الزوج والزوجة تزيد إذا ما كانا متشابهين، أما شديدو الشقاء في حياتهم الزوجية فيوجد بينهم اختلافات واضحة فيما يتعلق بالميول المشتركة. "كما وجد "كيرباتريك" أن مستوى التجانس بين الأزواج هو الذي يحدد مدى نجاح العلاقة. وقد أشارت الدراسات الكثيرة التي أجريت حول موضوع التجانس إلى أن نسبة كبيرة من الرجال والنساء الذين ينتمون إلى مكانة معينة قد تزوجوا ممن ينتمون إلى المكانة نفسها، أو من طبقات اجتماعية متقاربة، وفي دراسة "مارفين" المستفيضة عن الزيجات التي حدثت في فيلادلفيا وجد أن الرجال والنساء الذين يمتهنون المهنة نفسها يتزاوجون داخلياً بدرجة تفوق مستوى الصدفة. ويرى "نيمكوف" أن التجانس الفيزيقي بين الشريكين يرجع إلى تجانسهم في الجنس والدين والمكانة الاجتماعية، وأن عملية الاختيار للزواج تتم في نطاق جغرافي محدد ولذلك تكون الصفات متشابهة إلى حد كبير."

وهناك نظريات أخرى تركز على مسألة التجاذب "الهارموني" أو

التناغم. وقد أشار "دوركايم" إلى هذا الموضوع فقال: "لما كان كل واحد منا ينقصه شيء لذلك فنحن ننجذب نحو هؤلاء الذين يكملون أوجه النقص فينا". واعتبر البعض أن الحاجات المختلفة أو الميول المختلفة تعتبر جيدة، فهي تعمل على التوازن في الزواج، فالأضداد يتبادلون العون والخبرات المتضادة، أو الميول المختلفة،وهذه أمور قد تكون مصدراً للقوة في الزواج، أو تكميلاً لبعض جوانب النقص في شخصية أحد الزوجين، وقد استخلص "فرويد" من خلال عمله في العيادة النفسية، أن "النرجسيين" يتزوجون غالباً من أشخاص "كفلبين". فرويد ينظر إلى موضوع الاختيار للزواج من زاوية التكامل السيكولوجي فهو يرى أننا في الاختيار للزواج نبحث إما عن شخص يشبهنا أو عن شخص يحمينا. ويركز أيضاً على الصور الوالدية، فصورة الأب أو الأم تلعب دوراً مهماً في عملية الاختيار، نتيجة الخبرات اللاشعورية والطريقة التي تربى عليها الطفل في عائلته، ونتيجة توزع الأدوار والسلطة العائلية، لأن طريقة تصرف الآباء هي التي ترسم شخصية الأبناء إيجاباً أو سلباً.

إن الاختيار للزواج لا يقوم على دوافع الإعجاب فقط، بل يجب الانتباه إلى كل الخبرات النفسية والتربوية؛ فالانجذاب المادي يتلاشى بسرعة، وبعض المتناقضات البسيطة تكون مقبولة لتحقيق التوازن، أما وجود تفاوت كبير بين ثقافة الزوجين يجعل الحياة الزوجية ضرباً من المستحيل، ولن ينفع الوجه الجميل أو القد الرشيق إذا غاب التفاهم وانعدمت الفطنة.

٥. الغيرة بين الزوجين

كثيراً ما تؤدي الغيرة الشديدة من قبل الزوج أو الزوجة إلى نشاط يشبه عمليات التجسس، وعمليات التحري التي تؤدي إلى ارتفاع درجة

التوتر بين الزوجين.

وفــي دراســة أجراهــا الباحثــان (**Gayford;Gells**) يــذكران أنــه الحالات التي درساها كانت الغيرة هي السبب الأول لتدهور العلاقات بين الزوجين. فـي الغالـب يـتهم الزوج زوجتـه بالخيانـة، وسـواء أكـان الـزوج علـى صـواب أم علـى خطـأ، فالزوجـة تنفـي التهمـة، وفـي رأي (**Gayford**) كثيراً ما تكون خبرة الزوج نفسه، والتجارب التي مر بها، والحالات التي اطلع عليها، مصدراً لشكوكه، فيقوم بعملية إسقاط مثلاً معرفة رجل الأمن من بحالات انحراف النساء تجعله يراقب زوجته وبناته.

وعنـدما تسـتقر فكـرة الشـك فـي ذهـن الـزوج تجعلـه يتصـور وكـأن أطفاله ليسوا بالفعل أطفاله وإنما هم أطفال رجال آخرين و هذا بالطبع سيؤدي إلى كارثة.

ومن ألد أعداء الحب الغيرة المرضية أو(العصابية) فهي تتحول إلى حب أناني تؤذي صاحبها كما تؤذي الشخص الذي هو موضع الشك. وتتلف الأعصاب وتسبب الألم والكآبة وتحول الحياة الزوجية إلى جحيم لا يطاق، وتـؤدي إلـى مأسـاة كبـرى قد تصـل إلـى حـد ارتكـاب جـرائم كالقتل في بعض الأحيان.

"وتعتبر الغيرة المرضية واحدة من الأمراض العقلية، وتشاهد أولاً عنـد الأشـخاص المصــابين باضـطرابات نفسـية (**Psychopath**)الـذين ينفعلون انفعالاً شاذاً. فتصل الغيرة عندهم إلى درجة الانحراف العقلي (**Psychos**) المـرتبط مـع أوهـام متسـلطة... وتظهـر أيضـاً فـي بعـض حــالات الجنــون (كالهـذيان العنــادي **Paranoia** بارانويــا) وانفصــام الشخصية سيتسو فريني **Schizophrenic**) وتظهر أحياناً في حالات تصلب الشرايين

المتقدم، والإدمان الكحولي والإدمان على سموم الكوكائين. والمصاب بالانحراف العقلي وأوهامه لا يمكن إرشاده أو تغيير مجرى أفكاره ولا تقنعه الإثباتات وهذا ينطبق على الغيرة المرضية. ومعالجتها تدخل في نطاق عمل الأطباء المختصين بالأمراض العقلية. والمصابون (بالغيرة الشديدة) لا يصح عقد ارتباط زوجي معهم وعلى الأخص إذا وجد عندهم استعداد موروث للأمراض النفسية."[1]

وأحياناً يكون للغيرة مبررات، فوجود علاقة خارج إطار الزواج ربما تكون مؤشراً على وجود أزمة حادة في الزواج.

وأسباب الخيانة عديدة ومتشعبة، فالحداثة بوجهها السلبي وتغير مفهوم الزواج، والتركيز على اللذة الرخيصة لدى بائعات الهوى، وكثرة الأفلام الإباحية، أمور دفعت الرجل الضعيف الذي يسعى لممارسة الشذوذ بكل ألوانه إلى التعامل مع المرأة باحتقار، ويتوقع من زوجته تصرفات شبيهة بتلك التي اختبرها من خلال معاشرة النساء العاهرات، فأصبحت المرأة الشريفة عرضة لشتى ألوان الإذلال من قبل هكذا رجال فاقدين للاستجابة الطبيعية. وكذلك الأمر بالنسبة للمرأة التي اعتادت على ممارسة الجنس مع الآخرين لن تقتنع في زواجها، وخاصةً إذا كانت نظرتها للزواج قائمة على أساس المنفعة. وليس على أساس العاطفة والاستقرار.

"تتجه المرأة نحو الرجل بدافع الحب والبحث عن الاستقرار معه بالزواج، فإن النسوة لا يشتهين خوض مغامرات جنسية بل أن يتزوجن. والزواج في نظر المرأة ليس مؤسسة أبداً، بل علاقة حب إنسانية. والرجل كذلك يؤمن بالزواج لأنه يحب الراحة (السكون) ويؤمن عاطفياً

١- أمين رويحة، الحب والزواج ص: ٢٢٤.

بالمؤسسات التي تميل دائماً إلى أن تصبح في نظره مواضيعاً يحيطها بمشاعره. وفي نظر الرجل العادي،الحب بمعناه الحقيقي يتدفق مع مؤسسة الزواج".[1]

أستاذ علم النفس في الجامعة الإسلامية بغزة أنور البرعاوي يقول: "إن التنشئة التي غابت عنها القيم الدينية والأخلاقية هي من أسباب الخيانة، ويضيف أن الشعور بالنقص وعدم الثقة يلعب دوراً في اللجوء إلى مثل هذا النوع من الخيانات. فصاحب الشخصية القوية ينأى بنفسه عن الانزلاق إلى مثل هذه اللوثات، ورفض البرعاوي تقديم أية مبررات من قبل الأزواج والزوجات، وقال أن الحل أولاً وأخيراً بتقوى الله وبالتعقل والواقعية، فالعاقل لن يرضى بهذا التصرف الشاذ."

سلامة النفس، وحفظ صحة الفرد، وكذلك المجتمع تكمن في الابتعاد عن العلاقات المحرمة ـ الزنى ـ وفي تنقية الأجواء من الإثارة الجنسية، إعلاماً ومظاهراً وأجواء اجتماعية؛ وتوفير الظروف الصحية والسليمة للجنس عبر الزواج لا غيره للحد من التسيب الجنسي. فالخيانة الزوجية هي بمثابة قتل بطيء للضحية.

٦. العمـر عند الـزواج

يعتبر الزواج المبكر من أهم أسباب الطلاق وله تأثير مباشر على النواحي النفسية والاجتماعية وهو يؤدي إلى تراجع فرصة التعليم والتوقف عن تنمية القدرات الفكرية واكتساب المهارات، كما يسبب عدم إشباع الحاجات النفسية كالحب لأن الفتاة أو الشاب في مرحلة المراهقة غير قادرين على اتخاذ القرار الحكيم المتعلق بالناحية العاطفية. كما أن

١ إحسان الأمين، المرأة ص: ٥٥.

تهيئة الفتاة لتكون زوجة وأماً مسألة ضرورية فتكوين الأسرة وتربية الأطفال يتطلبان علماً وخبرة والخبرة لا تكتمل في عمر مبكر.

من أهم أسباب الزواج المبكر:

١. الحاجات النفسية والعاطفية عند المراهقين.
٢. ميل المراهقين إلى الاستقلال.
٣. عدم المعرفة بالحقوق والواجبات.
٤. التخوف عند الفتاة من تضييع فرصة زواج قد لا تتكرر.
٥. تدني مستوى الوعي عند المراهقين.
٦. استغلال الزواج لمصالح مادية.
٧. التفكك الأسري وعدم تفهم الأهل لمصالح الأبناء.

شروط الزواج لجهة العمر حسب الطوائف:

تختلف شروط الزواج من طائفة إلى أخرى لجهة العمر حيث أن لكل طائفة من الطوائف نصوصها الخاصة التي تنظم الأحوال الشخصية.

- نماذج من سن الزواج المسموح به بحسب الطائفة:

* الحد الأدنى للرجل و للمرأة:

الكاثوليكية	الأرثوذكسية	الإنجيلية	في الشريعة الإسلامية
١٦|١٤	١٥\١٧	١٨ \١٦	البلوغ القانوني١٨|١٨ البلوغ الشرعي ١٣\٩

من الملاحظ أن تحديد سن الزواج يقتصر على مسألة النمو العمري عند المشرعين دون الأخذ بعين الاعتبار مسألة النضوج الذهني واكتساب المهارات في إدارة شؤون المنزل والخبرة في تربية الأطفال ومعرفة الحقوق والواجبات وغيرها، هناك مشاكل كثيرة تنتج عن

الزواج المبكر وخاصةً المشاكل الصحية التي قد تتعرض لها الأم أو الطفل الذي لا تتم رعايته بالشكل الصحيح.

"بينت الدراسات وجود ترابط بين تدني العمر عند الزواج الأول وتدني أحوال المعيشة. وتزيد هذه النسبة بشكل كبير بالنسبة للذين يتزوجون بين سن العاشرة والرابعة عشرة (٥٠.٤ %) وهم حصراً من الفتيات، ما عدا حالات استثنائية. ويتبين أن الذكور الفقراء يتزوجون بين سن الخامسة عشرة والتاسعة عشرة(٥١،٧%) بنسبة أعلى من الفتيات (٣٦.٧%)، حيث يشيع زواج الفتيات من هذه الفئة العمرية بين أوساط الفتيات الفقيرة والمتوسطة، خلافاً لوضع الذكور."[١]

٧. شـرب الكحـول

"إن نسبة عالية من حوادث العنف العائلي يلعب الخمر فيها دوراً بارزاً. فيذكر (**Gayford**) أن أربعة وأربعين بالمئة من السيدات اللاتي تعرضن للضرب اعترفن بأن ذلك حدث فور رجوع الزوج من الخارج مخموراً. يبدو أن الرجل الذي شرب كمية كبيرة من الخمر بحيث فقد توازنه العقلي يطلب الكثير من المطالب والخدمات التي لا تكون الزوجة مستعدة لها فيثور عندما ترفض الزوجة الطلبات أو تتباطأ في تنفيذها ويكون العنف هو النتيجة المنتظرة."[٢]

فقد أوضحت دراسة حديثة عام ٢٠٠٠ أجرتها الجمعية البريطانية لمكافحة الإدمان على الكحول، أن الكحول يرتبط بنحو ٦٥% من جميع محاولات الانتحار، وله علاقة بـ ٧٦ ألف إصابة أو عاهة في الجسم

١- المراهقون والمراهقات والزواج المبكر ص: ٤٢.
٢- مجلة الفكر العربي، مرجع سابق، ص٣٨.

ونحو ٢٣% من قضايا إهمال الأطفال و سوء تربيتهم. إلى جانب وجود ٣٣ ألف حالة و فاة سنوية ذات علاقة مباشرة بتعاطي الكحول، كما أوضحت الدراسة أن قطاع الصناعات البريطاني يخسر نحو مليارين وثمانمئة مليون جنيه إسترليني سنوياً بسبب الأمراض والعوارض الصحية وفقدان العمل والموت المبكر الناتج عن المبالغة في تعاطي الكحول"[١].

وتأثير الكحول السلبي ينطبق على النساء كما ينطبق على الرجال حيث أشارت الإحصائيات السابقة إلى أن الكحول وراء ٣٥% من جرائم الاغتصاب.

"وإن استمرار تناول الكحول يحدث تأثيراً كابتاً ومثبطاً للجهاز العصبي المركزي في الدماغ والنخاع الشوكي، وهو ما يؤدي إلى إضعاف النشاط الجنسي أو إضماره كلياً أو جزئياً وفي دراسة قام بها **Whalley** على فئة من الكحوليين تبين من نتائجها إن ٥٤% من فئة الكحوليين يعانون من ضعف جنسي بالمقارنة مع ٢٨% من فئة غير الكحوليين"[٢].

وبسبب تأثير الكحول على سلوك الزوج و على أدائه الجنسي، وبسبب رائحة الكحول المزعجة تفقد الزوجة مشاعر التعلق والعاطفة والرغبة نحو الزوج.

١- المرأة، مرجع سابق، ص٨٧.
٢- المرأة، مرجع سابق، ص٩٢.

الوقاية من مشكلات الزواج

إن إيجاد الحلول للخلافات والاختلافات بين الأزواج من أصعب التحديات ولا يمكن اكتشاف لب المشكلة إلا من خلال التحليل والملاحظة والمراقبة والتجارب، ويمكن القول إن ما ينطبق على حالة لا ينطبق على أخرى نظراً للاختلاف في درجة الثقافة، والمهنة، وسلوك الوالدين، والحاجات الشخصية، والعمر عند الزواج، ومستوى الالتزام الديني فالكثير من علماء الاجتماع والمؤرخين والباحثين رأوا في الدين مفتاحاً لتغيير ميادين واسعة من حياة الشعوب، لأن الإيمان يخفف من الإحباط والعدوان والظلم ويمنع إلحاق الضرر بالآخرين.

"ولتخفيف المشاكل يجب اتخاذ الإجراءات الوقائية مثل الاهتمام بإنشاء مراكز الإرشاد الزواجي التي تقدم خدمات للمتزوجين وللمقبلين على الزواج لتجنب الوقوع في أخطاء التسرع، مع دراسة شخصيتي زوجي المستقبل بحيث تكونان متقاربتين جسمياً، وعقلياً، وانفعالياً، واجتماعياً، والتأكد من إجراء الفحوص الطبية قبل الزواج"[١].

ويجب العمل على بناء الثقة بين الزوجين، واعتماد لغة التفاهم، والابتعاد عن الوعيد والتهديد، لأن التصلب لا يحقق المطلوب، والجدل هو العنصر الأكثر تدميراً وخاصةً حين يتحول النقاش إلى لوم وامتعاض، وتجريح، فالأمر الذي يمكن حله بقليل من التفاهم بين الزوجين يصعب حله حين يتحول إلى مجادلات مؤلمة ومؤذية أثناء المواجهة ويؤدي إلى فقدان الاحترام المتبادل بين الطرفين.

١- الصحة النفسية والعلاج النفسي، مرجع سابق، ص١٤٥.

ومن الضروري معرفة الاختلافات البيولوجية والفطرية بين طبيعة الرجل وطبيعة المرأة، فالرجل يريد السلطة ويعتبر نفسه المسؤول وصاحب القرار، والمرأة بحاجة إلى الرفقة والاهتمام واللطف، فالعلاقات تصبح أفضل عندما يفهم كل واحد حاجة شريكه، وأحياناً تنتهي المشكلة بمجرد الاستماع إلى الآخر ومشاركته في أحاسيسه. وإن الزوجة حين لا تشعر بالاهتمام تصبح منهكة محبطة. وعندما تشعر بالاحترام تصبح راضية وتقدم الكثير.

والرجل يشعر بالسعادة حين يحصل على رضى المرأة وقبولها. وإذا شعر أنه غير مرغوب فيه يتراجع ويتوقف عن الاهتمام بزوجته.[١]

ويمكن القول بأن المشاكل الأسرية لا يمكن أن تحل عن طريق فرض القوانين، أو وضع شروط مادية (كالمهر، ومؤخر الصداق)، بل الوقاية تكون عن طريق التوعية العلمية لمعرفة الأسباب الأساسية للمشكلة، فالمشكلة قد تكون بسبب الزوج أو بسبب الزوجة أو الأهل أو التقاليد، أو بسبب عدم المعرفة وسوء التدبير. وهذا كله يتطلب تكثيف الجهود لتثقيف المقبلين على الزواج، لتخفيف المشاكل، ولإنقاذ الأبناء من خطر الضياع.

١- أنظر الرجال من المريخ والنساء من الزهرة، مرجع سابق.

الفصل السادس
مفهوم الطلاق

تعريف الطلاق: لغوياً هذا اللافظ مشتق من الإطلاق والترك، طلق قومه: تركهم وفارقهم، ويعني حل رابطة الزواج، والطليق هو غير المقيد، وكلمة [تَطَلَقَ] وجهه ضد [تَقَبَضَ] أي أصبح الوجه طلقاً وهو تعبير عن الراحة. فالطلاق بمعنى التسريح أو إطلاق العنان، أي إعطاء الحرية المطلقة، والحرية المطلقة غير مُلزمة لصاحبها بأي من المنغصات، أو المضايقات. والطلاق غير الطرد، وتطارد القوم تعني حمل بعضهم على بعض، أو حملوا بعضهم الشقاء والتعب والإعياء. فالشريعة انطلقت في أحكامها من خلال الدين ففسحت المجال أمام حق الطلاق لبعض الضرورات، ولدفع الضرر عن أحد الزوجين أو عن كليهما. لأن طبائع الناس ليست واحدة. كما إن هناك عيوباً خفية قد تظهر في أحد الزوجين تستدعي ضرورة الانفصال. وذلك حفاظاً على راحة الزوجين وليس لتحميلهما المزيد من الأذى. والطلاق لا يعني أن تطرد المرأة من بيتها، بل يعني إخلاء سبيلها، وعدم مضايقتها. ويعتبر الطلاق من الأعراض التي

لازمت الزواج منذ زمن نشأته فكان مشروعاً عند الشعوب القديمة مثل اليهود والفرس والرومان، ولم يمنع إلا في الديانة المسيحية التي اعتبرت الزواج فكرة الله وليس فكرة الإنسان وهو "فريضة الخلق" فلا يجوز التفريط به.

الطلاق في الإسلام:

الطلاق شرعه الله على بغض، ولا يلجأ إليه إلا حيث لا يكون هناك مفر منه. وتحذر الكثير من الآيات الكريمة من الطلاق، وتضمن حقوق النساء والرجال على حد سواء. ﴿إنَّ أبغَضَ الحلالِ عندَ الله الطَّلاقْ﴾.

إن الطلاق في الإسلام هو مشكلة بحد ذاتها، ولا تتضح نتائجه إلا بعد حين،ولهذا كان من الضروري التفكير والتروي قبل اتخاذ هذا القرار ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَابْعَثُواْ حَكَماً مِّنْ أَهْلِهِ وَحَكَماً مِّنْ أَهْلِهَا إِن يُرِيدَا إِصْلاَحاً يُوَفِّقِ اللّهُ بَيْنَهُمَا إِنَّ اللّهَ كَانَ عَلِيماً خَبِيراً﴾ (سورة النساء)

الطلاق من أشد حوادث الحياة تسبباً للمشقة فهو يؤدي إلى تفكك الأسر وانحلالها، إنه تجربة قاسية لكل من الرجل والمرأة على حد سواء، يسبب شعوراً بالمرارة ويسمح بتدخل الفضوليين، ويؤدي إلى انحراف المراهقين الذين يهربون من البيت الأبوي، بسبب انعدام العاطفة والأمان.

إن انعدام المحبة والاحترام والثقة بين الزوجين هي من الأسباب المباشرة للطلاق وخاصةً عندما تتخذ هذه المنازعات طابع العنف أو الشجار أمام الناس أو الأطفال، وكان يمكن تلافي كل هذه المنغصات لو استطاع كل من الزوج والزوجة إعادة بناء الثقة والابتعاد عن التعنت بالرأي، والعمل على التمسك بالإيمان والتقوى،

والنظر إلى الزواج على

أنه فكرة الله لحفظ الجنس البشري وتأمين الراحة، والاستقرار، والرفقة الصالحة، والود والتآلف. ولكي تنعم الأسرة بالسلام والراحة وجب عليها التمسك بالصبر والإيمان للتغلب على ما يواجهها من متاعب:

﴿ذَلِكُمْ يُوعَظُ بِهِ مَن كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجاً {٢} وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ﴾ (سورة الطلاق الآية ٢-٣)

العلاقة بين الزوجين علاقة روحية يجب المحافظة عليها، ويجب التغاضي عن بعض المضايقات لأن طلب الكمال أمر صعب يتعذر الحصول عليه، ويستحسن غض النظر عن بعض المساوئ، والنظر إلى الجوانب الحسنة، والتوكل على الله.

وحُسن العشرة لا تكون إلا في اللين والتراضي والبعد عن التجريح والجدل؛ لأن الجدل هو الأكثر تدميراً وخاصةً إذا ترافق مع الوعيد والتهديد والتشهير. ﴿لاَ تُخْرِجُوهُنَّ مِن بُيُوتِهِنَّ وَلَا يَخْرُجْنَ إِلَّا أَن يَأْتِينَ بِفَاحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ لَا تَدْرِي لَعَلَّ اللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَلِكَ أَمْراً {١} فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ فَارِقُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ﴾.(سورة الطلاق الآيتان ٢\١)

الإسلام يطالب بالتروي، ومراجعة المواقف، وتهدئة النفوس، والقناعة لأن القناعة والإيمان هما الحل الأنسب لكل المشاكل، ﴿وَاصْبِرُواْ إِنَّ اللّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ (سورة الأنفال ٤٦)

الآيات التي تنهي عن الطلاق كثيرة:

﴿تزوَّجُوا ولا تطلِّقُوا فإنَّ الطَلاقَ يَهتزُّ لَهُ عرْشُ الرَّحمن﴾

وأيضاً: ﴿أبْغَضُ الحَلالِ عنْدَ اللهِ الطَّلاق﴾.

نادى الإسلام بالسعي لحل أي إشكال قبل التفكير بالطلاق، وأحاط الزواج بالسمو والقدسية في قوله تعالى: ﴿وَكَيْفَ تَأْخُذُونَهُ وَقَدْ أَفْضَى بَعْضُكُمْ إِلَى بَعْضٍ وَأَخَذْنَ مِنكُم مِّيثَاقاً غَلِيظاً﴾. الإسلام وضع أسساً سليمة في تشريعه للطلاق من أجل مصلحة الزوجين حتى لا يتم استغلال الطلاق استغلالاً سيئاً فيؤدي إلى هدم الأسرة وتفككها، وضياع الأطفال، ومعظم الأطفال والأحداث الجانحين نحو الجريمة يأتون في الغالب من أسر مفككة. ويقول رسول الله في ذلك: ﴿الَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِن بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَن يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الأَرْضِ أُولَـئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾

(سورة البقرة الآية ٢٧)

وفي آية أخرى: ﴿وَالَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ اللّهِ مِن بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللّهُ بِهِ أَن يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الأَرْضِ أُوْلَئِكَ لَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ﴾ (سورة الرعد الآية ٢٥)

الطلاق في المسيحية:

ولو نظرنا إلى المذهب الكاثوليكي لوجدنا أن هذا المذهب يحرم الطلاق تحريماً باتاً وفي حال حدوث نفور بين الزوجين فإنه يمنع الملامسة الجسدية فقط. ولا يبيح لأحد منهما الزواج من جديد، وشدد السيد المسيح في تعاليمه على أن الزواج اتحاد يدوم مدى الحياة، وأن رابطة الزواج أكثر من مجرد عقد شرعي (أما قرأتم إن الذي خلق، من البدء خلقها ذكراً وأنثى)(متى ١٩ :٤) وقال: (من أجل هذا يترك الرجل أباه وأمه ويلتصق بامرأته ويكون الاثنان جسداً واحداً، إذاً ليسا بعد اثنين بل جسداً واحداً. فالذي جمعه الله لا يفرقه إنسان).(تك ٢ :٢٤)

أما عند الأخلاقيين ذوي النزعة المسيحية اللاهوتية تم الربط بين الواجب (أو الالتزام) ـ تجاه الزواج ـ وبين المحبة. وقد تأثروا بقول القديس بولس : "إن المحبة هي أداء الشريعة" إذ يرى المؤمن في أوامر الشريعة تحقيقاً لناموس المحبة، وحين تسود المحبة يختفي الشعور بالقسر. لهذا فإن التعليم المسيحي يؤكد بأن الزواج هو فكرة الله القائمة على المحبة والرفقة المتبادلة، والمساعدة، والتشجيع الذي يقدمه كل من الشريكين للآخر في سبيل إرضاء الله، ويكون فصم عرى الزوجية مناقض لإرادة الله، لأن ﴿ما يجمعه الله لا يفرقه إنسان﴾.

ولا نجد في أحاديث السيد المسيح ما يجيز الطلاق، بل أكد على ضرورة ارتباط الرجل الواحد بامرأة واحدة. وحين سأله الفريسيون " "فلماذا أوصى موسى أن يعطى كتاب طلاق فتطلق؟" أجاب: ﴿إن موسى من أجل قساوة قلوبكم أذن لكم أن تطلقوا نساءكم. ولكن من البدء لم يكن هكذا﴾ لقد رفض يسوع المسيح الطلاق رفضاً صريحاً، وصادق على ديمومة الزواج، "فالجسد الواحد" لا يقبل الزيادة ولا النقصان. كما أعلن أن التدبير الموسوي المتعلق بالطلاق إذعان لخطية الإنسان[1].

(فحذروا لروحكم ولا يغدر أحد بامرأة شبابه) (ملاخي :٢- ٦)

أما في أعمال الرسل وفي رسالة بولس الرسول الأولى إلى أهل كورنتس يردد بولس فكر يسوع بخصوص حظر الطلاق. ﴿وأما المتزوجون فأوصيهم لا أنا بل الرب أن لا تفارق المرأة رجلها. وإن فارقته فلتلبث غير متزوجة أو لتصالح رجلها. ولا يترك الرجل امرأته﴾ (كورنتس:١٠-١١)

١- المسيحية والقضايا المعاصرة مرجع سابق ص: ٢٧١.

وفي رسالة بولس الرسول الخامسة إلى أهل أفسس: ﴿أيها النساء اخضعن لرجالكن كما للرب﴾ (أفسس:٢٢)
﴿كذلك يجب على الرجال أن يحبوا نساءهم كأجسادهم. من يحب امرأته يحب نفسه.فإنه لم يبغض أحد جسده قط. بل يقويه ويربيه كما الرب أيضاً للكنيسة﴾ (أفسس ٥: ٢٨-٢٩)
الزواج المسيحي قائم من أجل الله لا من أجل الجسد والخطيئة. ولهذا يُعتبر عقد الزواج بعد الرسامة ممنوعاً على كل درجات الكهنوت من منصب الشماس المساعد وما فوق. وزوجة الكاهن غير قادرة على عقد زواج آخر فالقانون الكنسي لا يسمح للمرأة التي كرست نفسها لخدمة الرب بأن ترتبط برجل آخر إذا توفى زوجها الكاهن.
القديس بولس الذي كان يدرك ضعف الطبيعة البشرية وعدم استقرارها سمح للأرامل الشباب من غير طبقات الكهنوت بالزواج مرة ثانية إذا أرادوا كعلاج للفسوق.
﴿فحسن للرجل أن لا يمس امرأة. ولكن بسبب الزنى ليكن لكل واحد امرأته وليكن لكل واحدة رجلها. ليوف الرجل المرأة حقها الواجب. وكذلك المرأة أيضاً الرجل﴾ (كورنتس٧ :٢-٤).
(ليكن الزواج مكرماً عند كل واحد والمضجع غير نجس. وأما العاهرون والزناة فسيدينهم الله).(عبرابيين:١٣ - ٤)
﴿وأقول لكم إن من طلق امرأته إلا بسبب الزنى وتزوج بأخرى يزني﴾[1] (متى ١٩:٣)
لقد سمح بالطلاق على أساس واحد وهو الزنى أو الفجور لأن هذا

١- جون ستون، مرجع سابق ص٢٧.

ضد مبدأ الجسد الواحد وهو مبدأ أساسي في الزواج المسيحي.
وتحريم الزنى جاء قاطعاً في إنجيل متى الإصحاح الخامس الآية ٢٧-٣٠ (قد سمعتم أنه قيل للقدماء لا تزنوا. وأما أنا فأقول لكم إن من ينظر إلى امرأة ليشتهيها فقد زنى بها في قلبه. فإن كانت عينك اليمنى تعثرك فاقلعها والقها عنك لأنه خير لك أن يهلك أحد أعضائك ولا يُلقى جسدك كله في جهنم. وإن كانت يدك اليمنى تعثرك فاقطعها والقها عنك لأنه خير لك أن يهلك أحد أعضائك ولا يُلقى جسدك كله في جهنم.) و هذا التحريم جاء لأن الفاجر سيلحق الضرر البالغ بشريكه.

والزنى تم التحذير منه في كل الديانات؛ حتى في الديانات القديمة، ولقد عبر المصريون القدماء طبقاً لتعاليم (بتاح حوتب) وهي من المؤلفات الفلسفية التي يرجع تاريخها إلى ٢٨٠٠ ق م، بأن كل إنسان بعد الموت سوف يواجه بميزان القلب أمام أوزوريس والقضاة الاثنين والأربعين ـ وهناك العديد من الرسوم والنصوص التي تعالج هذه الفكرة وتظهر كفتي الميزان ـ فإذا استطاعت فضائله إحداث توازن سوف يصدر الحكم لصاحبه بالسعادة الأبدية، وتم تحديد السلوك المستقيم الذي يضمن السعادة الأبدية في عدد من إعلانات البراءة التي احتواها كتاب الموتى (الورد ١٢٥) مثل: "لم أسرق حصص الخبز، ولم أتطفل على شؤون الآخرين، ولم أتجادل إلا في شؤوني الخاصة، ولم أضاجع امرأة متزوجة."

وكان العقاب لمن يخالف هذا التحريم هو الجلد في القرآن الكريم ﴿الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا مِئَةَ جَلْدَةٍ وَلَا تَأْخُذْكُم بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا طَائِفَةٌ مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾.

ورغم أن الطلاق في حد ذاته غير ما تسعى إليه الأديان إلا أنه قد يمثل

حلاً لبعض المشاكل التي قد تنشأ بين الزوجين، فهناك حالات لا تهتم بالقيم، ولا تعرف الرحمة، ولا تراعي شعور الآخر، والتعرض للأذى الجسدي ووجود نزعة عدوانية عند أحد الزوجين يجعل التمسك برباط الزوجية من الأمور الشاقة والخطيرة وهذا يستدعي حلاً سريعاً. أما حين لا يكون هناك توافق يستحسن عدم التسرع ويجب أخذ مشورة أصحاب الخبرة قبل حسم الموضوع. وإذا كان عقد الزواج عقداً شرعياً قانونياً يحدد التزامات كلا الزوجين، فلن يكون الطلاق وثيقة تحريرهما من هذه الالتزامات، بسبب الأثر الذي يتركه الطلاق على حياة كلا الزوجين وعلى أولادهما.

الفصل السابع

أسبـــاب ومراحل الطـــلاق

صعوبات تحديد أسباب الطلاق:

لا يمكن تحديد الأسباب أو تعميمها على مختلف الحالات لتداخل عدد من العوامل أهمها:

١ - حساسية الظاهرة موضوع البحث، فهناك بعض الأشخاص يتحفظون أو يهربون من الإدلاء بالبيانات الصحيحة لأنها تتعلق بنواحٍ شخصية من حياتهم، أو لشعورهم بالفشل وعدم قدرتهم على إنجاح الحياة الزوجية، فيهربون من الإجابة إلى إجابة أخرى مضللة، وأحياناً تتأثر الإجابات بالحالات المزاجية بين الأفراد موضوع الدراسة. و هذا التهرب قد يبعدنا عن أساس المشكلة، وهدف الباحث ليس تجميع المعلومات فقط، بل الهدف هو الوصول إلى تشكيل منطقي مقنع لفهم طبيعة ومسببات الظاهرة، بعيداً عن النظرة السطحية والعابرة.

٢ - وتتمثل مشكلة تحديد الأسباب أيضاً في صعوبة فهم أثر بعض الانفعالات الشخصية، لأن المظاهر الانفعالية وردود الفعل تختلف من

شخص إلى آخر وذلك تبعاً للظروف. ولمعرفة الدوافع لا بد من العودة إلى التاريخ الاجتماعي والأسري لكل حالة. ومن الضروري فهم أثر بعض المتغيرات الاجتماعية التي لحقت بالأسرة، وأثرت في زيادة الضغوط النفسية التي كان لها مساهمة مباشرة في حصول الطلاق.

إن البحث في ظاهرة كظاهرة الطلاق يتطلب ابتكار تقنيات جديدة لأن ظاهرة الطلاق ظاهرة نفسية اجتماعية شاملة مترابطة بين كل أجزائها. ولا يمكن الانطلاق فقط من قضايا نظرية بعيدة عن الواقع.

٣- البحث في القضايا الإنسانية وخاصة السلوكية تواجهه صعوبات من حيث تأثير الظواهر المبحوثة على الباحث، وتأثير الباحث على الظواهر المدروسة لذلك يجب فك الارتباط العاطفي بين الباحث وموضوع البحث للوصول إلى أكبر قدر من الموضوعية والتجرد بعيداً عن النظرة الذاتية أو الإيديولوجية.

٤- يجب عدم حصر المشكلة ضمن فترة زمنية معينة لأن الأسباب الحقيقية قد تكون مرتبطة بخبرات سنوات الطفولة الأولى، أو قد تكون مرتبطة بتأثير بعض الصدمات على حياة الفرد، أو بتأثير ثقافة المجتمع المتوارثة، ولا يجوز القول أن هذا الرجل قد طلق زوجته بسبب العناد مثلاً، فلا بد من توليد معرفة متكاملة حول كل هذه القضية، وما يعنيه مفهوم العناد بالنسبة للزوج، للتمكن من إعطاء نتائج موضوعية ذات قيمة تفيد في إغناء البحث.

ويظهر أن هذه المشكلة لا تنحصر في سبب واحد، وإنما في مجموعة من الأسباب منها الثقافة والتربية والعادات والعوامل الاقتصادية والدينية وغيرها. فلا يمكن عزل هذه الظاهرة عن تشريعات الزواج، وعن بعض

الأعـراف وعـن الوضـع الاقتصـادي أو عـن بعـض الأخطـاء فـي السلوك. ومن أهم الأسباب ما يلي:

١. البغض الشديد بين الزوجين، وقد تكون الكراهية بسبب اختلاف الميول، أو بسبب الخيانة الزوجية، أو بسبب العنف، أو الأنانية.

٢. الوقوع في الحب.

٣. عدم الالتزام بالقيم الدينية.

٤. الكراهية المتبادلة بين أهل الزوج وأهل الزوجة وعدم التكافؤ بينهم.

٥. وجود مشاكل سابقة في أسرتي الزوجين.

٦. ضـعف الإعـداد للحيـاة الزوجيـة وسـوء التـدبير والمغـالاة فـي التفاخر.

٧. سلوك البعض الذين يسعون إلى التفاخر، على حساب ميزانية الأسـرة. والتخلـق بالتقليـد الأعمـى لـبعض السـلوكيات دون أن يأخـذوا بأسباب التقدم ويستفيدوا من تجارب الغير الإيجابية.

إن عدم الرضى عن الزواج يحصل في كثير من الأحيان إذا حاول الأزواج أن يقـارنوا حيـاتهم بحيـاة آخـرين وخاصـةً إذا كانـت المقارنـة مستمدة من صور غير واقعية كالأفلام أو المسلسلات التي تضخم بعض الأمور وتوحي بتصورات لا يمكن أن تتحقق بالفعل. أما اختلاف الميول وهو من الأسباب الرئيسية المسببة للطلاق فيعود إلى العادات المتوارثة، والتربية، والثقافة، والمستوى الاقتصادي.

"ج. هاردي **G. Hardy**" يقسم العادات إلى أقسام: أولها: العادات الجسمانية (كمقاومة التعب، الحركات المعبرة عن التهذيب، والمحاكاة، والأوضاع المألوفة...) والثانية هي العادات المادية مثل (العادات

الخاصة بالغذاء، واللباس والصحة، والسكن، ...) وثالثاً العادات المعنوية التي تضم (الحياة الدينية، والحياة الأخلاقية)، ثم (العادات الاجتماعية، والعادات النفسية) وكل هذه العادات مهمة عند حدوث مشاكل داخل الأسرة، حتى يمكن القول مع "أندريه فارانياك **Varniak**":

"رغم ما بين البشر من اختلافات كبيرة جداً اليوم، ورغم ما يفرقنا عن الماضي الإغريقي اليوناني البعيد، هناك تشابهات متعددة ومدهشة في كثير من التقاليد الشعبية، ولا سيما في القصص التي تروى للأطفال"...[١]

إن المزاج يبدأ بعمر مبكر ويعود تكوينه بالدرجة الأولى إلى ثقافة المجتمع المتوارثة من الآباء والأجداد.

مراحل الطلاق:

إن الناس يجتازون مراحل الطلاق بتتابع مختلف، ولا بد أن يأخذ الحزن مداه بالتدريج حتى يمكن بعد ذلك التأقلم قدر المستطاع مع الحياة الجديدة وهناك مراحل تكون شديدة الإيلام، حتى أن الإنسان قد يصاب بصدمة ولا يستطيع التفكير على الفور. إن الطلاق هو عملية انتقالية وليس نهائية، حتى عند الذين خططوا للطلاق، فقد يشعرون بعد ذلك بالندم وعذاب الضمير لما ألحقوه بشريكهم من الأذى.

ومن البديهي أن الطلاق يربك ويؤدي في بعض الأحيان إلى اليأس والإحباط وبمرور الوقت تتشكل ردود أفعال غير متوقعة.

١- سيكولوجيا الشعوب، مرجع سابق، ص٦٨.

الرسم التالي يحدد مراحل التحول النفسي بعد الطلاق.

الفصل الثامن
الآثـــار السلبيـــة للطــلاق

١. نتائج الطلاق على الصحة الجسدية والنفسية

تُظهر معظم الدراسات أن المتزوجين بوجه عام أكثر سعادة من العزاب أو الأرامل أو المطلقين. وفي دراستين أجريتا في الولايات المتحدة في الأعوام ١٩٥٧، ١٩٧٦ برهنتا على وجود ارتباط بين الشعور بالهناء، وبين حالة الزواج. وقد تأيدت هذه النتائج في بحوث أخرى.

كذلك تشير بعض الأدلة إلى أن الرجال غير المتزوجين أقل سعادة من النساء غير المتزوجات مما يوحي بأن فائدة الزواج للرجال أكثر من فائدته للنساء، فالرجال يحصلون على إشباع أكثر من الزواج إذا قُورنوا بالنساء. فالزوجات يوفرن للأزواج دعماً اجتماعياً أكثر مما يوفره لهن الأزواج وهن يقمن بدور أكبر كمحل للثقة وحفظ الأسرار، كذلك فإن النساء المتزوجات أكثر استعانة بصديقاتهن أو قريباتهن للحصول على

الدعم إذا ما قُورنّ بالرجال المتزوجين.[1]

جدول رقم: (١)

جدول السعادة لدى المتزوجين والعزاب والمطلقين

	نسبـة من هم أكثر سعادة	
	رجــال	نســاء
متزوجون	٣٥	٤١.٥
عـزاب	١٨.٥	٢٥.٥
مطلقون	١٨.٥	١٥.٥

ويعود هذا الفارق بين الرجال والنساء إلى أن النساء لديهن استعداد أكبر لتقرير وجود مشكلة انتقالية أو نفسية والتماس المساعدة. ولكن مستوى السعادة أقل عند النساء المطلقات. الأمر يختلف كلياً بين الرجال والنساء لأن وضع المطلقة أصعب من وضع المطلق.

كمـا يقـل احتمـال أن يعـاني المتزوجـون مـن اضـطراب عقلـي بالمقارنـة مـع العـزاب أو المنفصـلين أو المطلقـين أو الأرامـل ويعـرض الجدول التالي متوسطات من دراسات عديدة تبين نسبة غير المتزوجين إلى المتزوجين في احتمال الإصابة بالاضطراب العقلي:

جدول رقم(٢)[2]

	أعـزب	مطلق	أرمـل
رجــال	٣.١٣	٥.٠٩	٢.٥٣
نســاء	١.٧٤	٢.٨٠	١.٤٣

١- عالم المعرفة، سيكولوجية السعادة، العدد ١٧٥، الكويت ١٩٩٣ ص٣٠.

٢- سيكولوجية السعادة، مصدر سابق، ص٤٢.

إن ردود الفعل حيال المشكلة تختلف بين الرجال والنساء، فقد يكثر الرجال من التدخين أو شرب الكحول أو القيادة المسرعة، بينما معظم النساء يعبرن عن المشاكل بطرق مختلفة كاللجوء إلى الصلاة أو طلب مساعدة الأصدقاء.

والحل المتبع من قبل النساء هو الحل المثالي. وخاصة إذا كانت نوعية الأصدقاء جيدة. بينما التدخين وشرب الكحول يؤدي إلى الإدمان. والاسترخاء مفيد للصحة حيث إنه يحافظ على مستوى منخفض من ضغط الدم وهذا ما تؤمنه الصلاة. بينما القلق والتهور في القيادة وعدم البوح بالمشكلة يؤدي إلى زيادة ضغط الدم والقلق والغضب.

"إن حوادث الطرق، والموت غرقاً أو حرقاً أكثر شيوعاً بين المطلقين ومن الممكن أن تدخل بعض هذه الحوادث تحت بند إيقاع الأذى بالنفس، ونسبة كبيرة من هذه الحوادث لها صلة بإدمان المسكرات والإفراط في الشراب كاستجابة عامة لانهيار العلاقات الزوجية. والسبب الثاني يرجع إلى أن انهيار العلاقة الزوجية تؤدي إلى عدم القدرة على التركيز والإجهاد وضعف الأداء. هذه العوامل تزيد من احتمالات الإصابة بالحوادث. كما تدل الإحصائيات أن المطلقين يشربون أكثر من المتزوجين ثلاث مرات ويشربون أكثر من ٥٠ وحدة من الكحول في الأسبوع ويدخنون بشراهة، ويمارسون الجنس بطريقة متكررة وعابرة وغير صحية. وهناك دليل واسع على إن أحد النتائج الأساسية لانهيار الزواج هو تدهور صحة الأفراد على المستوى السيكولوجي والجسدي وأن الطبيب أول من يشهد نتائج التوتر في العلاقات الزوجية."[١]

١- ماري كيرك، الطلاق، الطبعة الأولى، دار الثقافة، القاهرة ١٩٩٩، ص٧٦.

وفي دراسة "لدوركايم" تبين أن معدل الانتحار يزداد في أوروبا مع زيادة عدد حالات الطلاق فكلما ارتفع معدل الطلاق ارتفع معه معدل الانتحار، ويرفض دوركايم التفسير الذي يقول أن الانتحار هو نتيجة المزاج المتطرف لأن الذين يملكون مزاجاً متطرفاً هم من المتزوجين والمطلقين، ولكن معدل الانتحار عند غير المتوازنين المطلقين أعلى بكثير من معدل الانتحار عند المتزوجين الغير متوازنين. ويصل دوركايم إلى التفسير بأن تفكك الأسرة والتغيرات السلبية الناتجة عن الطلاق هي السبب في الإقدام على الانتحار. ويضيف دوركايم أن الاختلال المفاجئ للتوازن الاجتماعي والأخلاقي يرفع من معدل الطلاق، وكذلك ترتفع معدلات الانتحار في أوقات الأزمات الاقتصادية (الإفلاس أو الرخاء أيضاً)، والسبب هو الاختلال في النظام المجتمعي؛ ففي حالة الرخاء والاستقرار المادي تكون مستويات الطموح محدودة، وهذه الحالة المسببة للانتحار تسمى "الانتحار اللانظامي" أي بسبب الفوضى المجتمعية أو الأسرية. وبالطبع إن الفوضى والانغماس في اللهو وعدم النظام حالات تسبب خللاً ضمن العائلة فتتفكك.

٢. انحراف الأحداث

تأتي مشكلة انحراف الأحداث في المراتب الأولى من بين النتائج الاجتماعية النفسية لظاهرة الطلاق.

تعريف الحدث:

يمكن تعريف الحدث ذكراً كان أو أنثى على أنه الذي لم يبلغ من العمر ١٨ سنة. ويعتبر منحرفاً إذا وجد في ظروف غير عادية خارجة عن

المألوف مثلاً إذا وجد في حالة إدمان أو احتيال، أو دعارة، أو إذا كان غير مستقر في بيت ويرافق جماعة من المتشردين أو المشتبه فيهم، أو إذا اشتهر بسوء السيرة في تعامله مع الناس.

فالانحراف لدى الأحداث هو من صنع الآباء في الدرجة الأولى بسبب عدم التوافق والانسجام في الزواج، وبسبب عدم إعداد الزوجين إعداداً صالحاً للحياة الزوجية وتفشي الجهل واللجوء إلى الخرافة وبسبب الأوضاع الاقتصادية والحرب التي استمرت لسنوات ومنعت الكثيرين من متابعة تحصيلهم العلمي أو من تأمين الرعاية الصالحة، فالأحداث قد ينقادون بسهولة حين تقدم لهم أبسط المغريات.

ونتيجة الخطأ في التربية ونقص الرعاية تتهيأ الأجواء لخلق هذه الظاهرة وردود الفعل المنحرف وخاصة عندما يصبح الأولاد نقطة الخلاف بين الزوجين فيحاول كل منهم ضم الأطفال إليه كي ينتقم من الطرف الآخر أو يتم تنصيب الأولاد قضاة لحل مشاكلهم الخاصة، فيقحمونهم بأمور لا طاقة لهم على احتمالها، فيصبح الولد هو الضحية وهو الذي يتحمل وزر المشكلة، وعندما يفتقد إلى الحب والأمن يفقد ثقته بالعالم من حوله وبالآخرين.

"لقد ذكر "ماسلو" مجموعة من الأعراض، صنفها في ثلاث فئات تعد أساساً للشعور بعدم الطمأنينة النفسية، وهي:

١. شعور الفرد بالرفض وبأنه شخص غير محبوب وأن الآخرين يعاملونه بقسوة واحتقار.

٢. شعور الفرد بأن العالم يمثل تهديداً وخوفاً وقلقاً.

٣. شعور الفرد بالوحدة والعزلة والنبذ".[١]

"أما هورناي **Hornay** فترى أن هناك جملة من الظروف والأوضاع السلبية خاصة في المحيط الأسري كالإهمال، والعزلة، يمكن أن تؤدي إلى فقدان الطمأنينة والذي بدوره يؤدي إلى القلق وخاصة أن عدم توفر الأمن والطمأنينة في العلاقات خاصة بين الطفل والأم يتسبب في نشأة مشاعر من الاضطراب تظهر في صورة اتجاهات عُصابية تؤدي إلى سلوك الفرد لواحد من ثلاثة اتجاهات، فإما التحرك نحو الآخرين، أو التحرك بعيداً عن الآخرين، أو التحرك ضد الآخرين"[٢]

وهذا التحرك إما أن يتمثل بتحرك عدواني أو بالبحث عن بيئة ملائمة أكثر تتماشى مع حاجاته المكبوتة، والخطورة تكمن عندما يتوجه الولد إلى جماعات سيئة منحرفة شاذة، دون أن يلاحظ الأهل، أو دون أن يهتموا للأمر بسبب انشغالهم بمشاكلهم الخاصة، أو بسبب وجود انحرافات داخل الأسرة كأن يكون الأب مدمناً مثلاً فلن يكترث لإدمان الأولاد.

إن ظاهرة جناح الأحداث ملازمة للمجتمع وإن الميول والاتجاهات العدوانية المنحرفة مرتبطة عند الفرد بأبويه وبالمحيط الاجتماعي.

يؤكد بولبي **"Polpy"** أن فقدان الأطفال للاهتمام والتعلق الوالدي يؤدي إلى تطوير مشاعر من عدم الإحساس بالأمن والطمأنينة النفسية مما يجعلهم يفشلون لاحقاً في إقامة العلاقات والتفاعلات الاجتماعية وبالتالي الشعور بالسلبية والانسحاب والوحدة النفسية.

---

١ مجلة جامعة الملك سعود، العلوم التربوية والدراسات الإسلامية (١) المجلد الثامن عشر، ص٣٣١.

٢- المصدر نفسه ص٣٣٢.

كمـا يـرى "ديتاماسـو **Ditamaso**" وزمـلاؤه أن الأفـراد المطمئنـين نفسياً يملكون مشاعراً إيجابية عن أنفسهم وعلاقاتهم، إضافة إلى تمتعهم بمهارات اجتماعية متوازنة يحققون بواسطتها ارتقاء طبيعياً وتحـولاً أساسياً خلال مراحل نموهم.

كما ظهرت دراسة قام بها جبر بغرض دراسة العلاقة بين بعض المتغيرات الديموغرافية ومستوى الأمن النفسي، تبين أن الفئات العمرية الأقل سناً (١٧-٢٠ سنة) هي الأقل شعوراً بالطمأنينة النفسية، وقد فسر ذلـك بتعـرض المـراهقين والشـباب فـي المجتمعـات العربيـة إلـى ضـغوط نفسية"[١].

لظاهرة انحراف الأحداث أكثر من مسبب ولكن من الواضح تماماً وبناءً على الدراسات والنظريات في علم النفس وعلم الاجتماع التشديد على دور الأسرة في خلق هذه الظاهرة. ومن المؤكد أن الطفل الذي لقي من والديه القسوة والإهمال وشهد مواجهات مؤذية لمشاعره أوصله ذلك إلى شؤون الانحراف والإجرام.

٣. وضـع المطلقـة

يـزداد الضـغط النفسـي علـى الزوجـة بعـد الطـلاق فتواجـه المطلقـة مشكلات اجتماعية ونفسية واقتصادية بسبب عدة عوامل ومن أهم هذه العوامل صعوبة التأقلم مع الوضع الجديد والأسف على سنوات العمر، كما تواجه المطلقة نظرات شك وعدم ثقة من بعض الفضوليين لأن نظرة المجتمع إلى المطلقة نظرة غير سليمة. وهذا الضغط الاجتماعي يدفع المطلقة إلى اتخاذ موقف سلبي قد يؤدي أحياناً إلى الانحراف السلوكي

١- المصدر نفسه ص. ٣٣٨

بسبب الفشل وعدم التكيف مع المجتمع.

"فالنظرة الاجتماعية إليها أنها فاشلة في وظيفتها الاجتماعية حيث لم تنجح كزوجة فقد رفضت الانضباط أو فشلت في إيجاد صفة التكيف مع مقتضيات دورها، وينظر إليها عادة كامرأة خارجة على التقاليد، مندفعة وراء رغباتها أو رؤيتها الخاصة ويستقطب التعامل معها موقفان: الأول التجنب والثاني الانجذاب ومحاولة التقرب، بهدف إقامة علاقة عابرة انطلاقاً من فكرة شائعة تقول بأن المطلقة تسعى لتحديد علاقتها بالجنس الآخر وبأن استعدادها للاستجابة كبير. وهي عُرضة للّوم بسبب أو بدون سبب"[1]

وهذا ما أظهرته نتائج الدراسة الميدانية التي قمنا بها، فإن نسبة النساء اللواتي يعانين من الوحدة كانت ١٦.٣% وكانت نسبة اللواتي حرمن من أولادهن ٣٠.٣%.

ولكن رغم كل هذه المشاكل تتمتع المرأة بمناعة ضد الصدمات العاطفية، وتأخذ وقتاً أطول من الرجل للتفكير بالزواج مرة أخرى.

٤. وضع المطلق

إن القول الشائع في مجتمعنا أن الرجل لا يتأثر بالطلاق غير صحيح على الإطلاق لأن الواقع يدل على عكس ذلك، فالزوج يتأثر عاطفياً وقد يصاب بأمراض نفسية وعصبية في حالات عديدة وخاصةً في حال وجود أبناء معه، أو في حال مبادرة الزوجة بطلب الطلاق، أو في حال تأخر الزوج

١- حطب زهير، مظاهر التمايز بين الجنسين، برنامج الاستراتيجيات السكانية والتنموية، الجزء الخامس، ص٢٠.

بالزواج بعد الطلاق، ولكن نادراً ما يبقى المطلق بدون زواج، ولكن حين تكون الصدمة كبيرة على الزوج يفضل عدم الزواج مرة أخرى.

"يعتبر المطلق ضعيف الحظ لأن شريكته لا تستحقه و هو يستأهل الدعم والمساعدة في البحث عن زوجة جديدة، حتى ولو كانت صفاته غير مشجعة، أو كانت مسؤوليته كبيرة في فشل الزواج الأول. فالمطلق صاحب حق اجتماعي في تكرار التجربة من دون مؤاخذة".[1]

"ومن الملاحظ من خلال موقف المجتمع من الجنسين، الذي يكشف تراخيه مع الرجل وتشدده حيال المرأة. إنه ينطوي على تمييز علني ضدها أحياناً ومستتر في أكثر الأحيان. وتغيير واقع الأحوال الشخصية يتطلب تغييراً في العقلية السائدة وخلفيتها الثقافية. و هو عمل طويل ويلزمه الجرأة والإصرار ويقتضي مباشرته من خلال برامج التعليم و مواده بطريقة منهجية هادفة و واعية ... وتعود جذور التفاوت بين الجنسين إلى التربية التي يتلقاها الأبناء ضمن الأسرة ... وقد أظهرت دراسات ميدانية أن العناصر المكونة للسلطة التي تمارسها الأسرة على أبنائها وبناتها ليست من طبيعة واحدة ولا هي متجانسة من حيث النوع، بمعنى أنها تركز على وقائع ومظاهر وتفاصيل في حياة الشباب من أبنائها تختلف عن الوقائع والتفاصيل التي تتصل بحياة بناتها. كما أن أسلوبها في المواجهة يختلف تجاههم في درجة تشدده في المنع أو تساهله في القبول والسماح. فالتشدد في المنع والتحريم المعتمد على التهويل والتأنيب يطال الفتيان، بينما التهديد والوعيد والقمع المباشر يصيب الفتيات ... أما أسلوب الحوار والتفاهم الذي تعتمده الأسرة عندما تحاول إقناع الشبان، فيتخذ شكل

١ـ نفس المرجع ص ١٩.

حوار أو تبادل للأفكار والاستماع المتبادل للانتقادات، وإبداء المرونة والتسامح وعدم التبرم إزاء الاعترافات والانتقادات التي يوجهها الشباب للأهل، بينما يعتمدون أسلوب النقاش الهادئ من فرض آرائهم وأفكارهم بصورة غير مباشرة بخصوص المواضيع التي يطرحونها مع بناتهم... هكذا يغلف الأهل سلوكهم القمعي غير المباشر بالمظاهر الديمقراطية والتفاهم الزائف. عن هذا الطريق يدرك الأبناء من الجنسين وجود فارق بينهم و هذا الوضع ثابت في مختلف الأوساط الاجتماعية والبيئات الثقافية، والمستويات الاقتصادية الاجتماعية، لأنه يعبر عن واقع اجتماعي مهيمن في المجتمع أكثر من تعبيره عن معطيات ظرفية متغيرة يحصّلها الإنسان نتيجة تجاربه الحياتية المتنوعة.

وقد أظهر تحليل المعطيات الميدانية أن الإناث يشعرن بأن معظم طاقاتهن الجسدية والعاطفية والاقتصادية مكبوتة ويَحول الأهل دون إشباعها".[1]

وخاصة عندما تكون المرأة المطلقة عاجزة عن تأمين الاكتفاء المادي فهي ستظل رهن إرادة الأب أو الأخ.

إن هذه النظرة إلى المطلقة والى المرأة بشكل عام مازالت سائدة في مجتمعاتنا رغم التغيير الذي طرأ على تفكير معظم الأفراد بشأن المساواة بين الجنسين وبشأن الزواج والأسرة بصورة عامة فالمرأة تشارك اليوم بتأمين تكاليف معيشة الأسرة و هي مضطرة للخروج إلى العمل فهي منتجة ومسؤولة ولكن الخلفية الفكرية والثقافية عند الرجال وعند النساء أيضا، تحول دون التخلي عن هذه النظرة الدونية تجاه المرأة.

١- مظاهر التمايز بين الجنسين، مرجع سابق ص ٢١.

٥. تكـرار حــالات الطــلاق

"يلجـأ غالبـاً الأهـل ذوو المشـكلات الزوجيـة الحـادة إلـى اسـتخدام متكرر للعقوبات الجسدية، ونادراً ما يعتمدون الحوار المنطقي مع الطفل في استراتيجيتهم التربوية وكثيراً ما تؤثر العلاقات الزوجية المتوترة في ارتفاع نسبة جنوح السلوك عند المراهقين. فسلوك الأهل يؤثر بجملته في تطور الطفل ويتوجب عند دراسة هذا التأثير الأخذ بعين الاعتبار طبيعة العلاقة الزوجية القائمة بين الأب والأم.

إن سـلوك الأهـل هـو أحـد الأبعـاد الوظيفيـة للإنسـان ويتـأثر كغيـره بالخصائص الفردية وبتاريخ النمو للفرد وكذلك بالحالة النفسية الراهنة. فطفولـة الأهـل تـؤثر فـي سـلوكهم اللاحـق كأهـل، كمـا يتبـين مـن نتـائج دراسات الأطفال المعاملين بقسوة، فعدم كفاءة الأهل تنتقل من جيل إلى جيل، فالتجربة المبكرة تؤثر في طاقات الفرد وقدرته على توظيف هذه الطاقات في دوره كأب أو كأم، فالطفل الذي يرفضه أهله يكون أكثر عدوانية وعنفاً ويضطرب من الناحية الانفعالية، وسيكون أكثر قابلية عندما يصبح راشداً لرفض أطفاله".[1]

"أشارت بعض الدراسات إلى وجود علاقة بين اضطراب الطفولة وبعض خصائص الحياة الأسرية كعدم التضامن بين الأبوين والانفصال، ورفض الطفل. ويرى بعض الباحثين أن أهم الخصائص الثابتة في تاريخ الأسرة التي تسيء معاملة الصغير انتقال ظاهرة القسوة وإساءة معاملة الأطفال من جيل إلى جيل، ومن أهم العوامل المؤثرة في سلوك الآباء تجربتهم السابقة مع أهلهم. فالتجربة التي تتميز بالطاقة وشعور الطفل بأنه موقع الاهتمام

١ـ قنطار فايز، الأمومة، عالم المعرفة، العدد ١٦٦، الكويت ١٩٦٢، ص١٦٤.

والمساعدة تبقى حاضرة في الذهن ومؤثرة في السلوك عندما يصبح الطفل بدوره أباً أو أماً. فالمستبد إنسان قد ورث صفات الاستبداد، ونشأ في ظل عائلة تمارس كل أنواع الإذلال والتهكم وفرض الآراء وعدم الإصغاء إلى الآخرين، وهذه الصفات تنمو وتكبر مع نمو شخصية الطفل، وفق طرق تربيته وتعليمه. ويتأثر سلوك الأهلية (الأمومة والأبوة) أيضاً بشروط البيئة والثقافة والمعتقدات السائدة والقيم الأخلاقية".[١]

وتدل معظم الدراسات على أن الرجال والنساء الذين مروا بتجربة انفصال الوالدين خلال الطفولة يزداد لديهم احتمال تكوين علاقات معاشرة وليس علاقات زواج. وأن تتم هذه العلاقات- سواء معاشرة أو زواجاً في عمر أصغر مما عاش آباؤهم معاً من دون طلاق. كما زاد لدى الرجال والنساء المنتمين إلى أسر مطلقة احتمال أن يصبحوا هم أنفسهم آباء في سن صغيرة. كما أن انفصام علاقات الزواج أو المعاشرة كان أكثر حدوثاً بين من مروا بتجربة طلاق الوالدين حتى ولو كره الأبناء سلوك آبائهم، وذلك لأسباب عديدة منها عدم وجود أهل يقدمون الدعم العاطفي والمادي.

ولا يمكن تجاهل حقيقة مؤثرة جداً وهي الطلاق العاطفي، حين تملأ الكراهية قلب أحد الزوجين رغم بقائهما معاً وهذا الوضع المتشنج هو المحدد الحاسم لشخصية الطفل في المستقبل بما أن العديد من الخبرات تحدث داخل إطار الأسرة فهي التي توجه تطلعاته وتكون مسؤولة عن استبطان نظام سلوكي معين.

ولكل طبقة اجتماعية مفاهيم خُلقية واجتماعية وسلوكية وطريقة

١- نفس المرجع ص١٦٦.

تفكير تميز ها عن باقي الفئات أو الطبقات. ولكي نتمكن من فهم الكائن البشري لا بد من معرفة خبراته الهامة داخل الأسرة التي نشأ فيها والتي تُعتبر من أهم المحددات الأساسية لبناء شخصية الفرد.

٦. حرمان الأولاد من وجود الأب أو الأم:

أ- أهميـة وجـود الأم

إن حرمان الطفل لفترة طويلة من عناية الأم قد يكون له آثار خطيرة وعميقة على خصائصه وشخصيته، وبالتالي على مستقبل حياته.

لقد أصبح من الثابت حالياً أن انقطاع العلاقة بين الأم والطفل يعود بالنتائج السلبية على الطفل وقد تبين من خلال الدراسات أن اضطراب الشخصية والعُصاب هما غالباً نتيجة الحرمان من عناية الأم. وقد لوحظ آثار عديدة للحرمان من الأمومة أهمها درجات ضعيفة في اختبارات الذكاء لدى الأطفال المحرومين، تحصيل مدرسي أضعف، قدرة أقل على بناء علاقات مؤثرة مع الآخرين، حدوث مشاكل في السلوك مثل القلق والمخاوف، والتشوق الغير عادي للعاطفة...

"ويذهب بولبي في دفاعه عن افتراضه ــ بضرورة وجود الأم ــ بأنه حتى ما يسميه غالبية الناس بالأم السيئة هي في الحقيقة أفضل من عدم وجود أم على الإطلاق، ولقد توصل ليون يارو **Leon Yarrow** من خلال أبحاثه إلى نفس النتيجة التي توصل إليها بولبي **Bowlby** و هي مدى الأضرار التي يصاب بها الوليد البشري عندما يكون بعيداً عن الأم"(١)

ويـرى بـولبي أن حـالات القلـق والهبـوط العصـبي وبعـض الحـالات المرضية

١- سيكولوجية الشخصية، مرجع سابق، ص٢١٨.

عند الكبار يمكن أن تكون على ما يبدو مرتبطة بحالات فقدان الأم أثناء الطفولة أو تلاشي التعلق بالأم. ولقد أجرى فريق من الباحثين بجامعة الينوس بعضاً من الأبحاث التي ألقت الضوء على تأثير شخصية كل من الأب والأم على المشكلات السلوكية للأطفال. و أوضحت التجربة أن الأطفال الذين وصفوا على أنهم سيئو التكيف النفسي ينقصهم الدفء الأبوي.[1]

ولقد لاحظ ليونارد أنجيل أهمية حضانة الأم في عملية التطبيع الاجتماعي وفقاً لنتائج الأبحاث التي أجراها هارلو:

لقد نجحت جماعة من الباحثين في معامل جامعة وسكنسون في تربية قردة مأخوذة من أمهاتها لحظة ولادتها تقريباً ونقلت إلى أمهات بديلة من الخشب... وتبين أن القردة الرضيعة أصبحت مغرمة بشكل خاص بأحد أشكال الأمهات البديلة وهي تلك الدمية المغطاة بنسيج ناعم. و هذه الأمهات البديلة لا تزجر ولا تعنف ولا ترفض طلب الرضع كما تفعل الأمهات الحقيقية أحياناً، إلا أن النتائج أوضحت أن هذه القردة شاذة وغريبة الأطوار بصورة عالية فهم جميعاً غير اجتماعيين والعديد منهم أظهر صورة اللامبالاة، وفقدان الشعور، يجلسون ساعة وراء ساعة في أوضاع معوجة، أو يتزاحمون في زوايا أقفاصهم متظاهرين أنهم لا يرون ولا يسمعون شيئاً. ويقول هارلو: أن هذه القردة ذكرتني بالأطفال المرضى عقلياً.

إن الأم البديلة يمكن أن تفي بحاجات القرد الرضيع لكنها لا تستطيع أن تعلمه كيف يعتني بنفسه كما تفعل الأم الحقيقية. إن الأم الحقيقية تساعد رضيعها على التطور والنمو، وتقبيله أحياناً ورفضه وزجره أحياناً أخرى يساعده على البدء في شق طريقه... هذا الحال في

١- نفس المرجع ص٢٢٣.

عالم القردة و هو أيضاً الحال بالنسبة لعالم الإنسان حيث لا يمكن الاستغناء عن الأمومة مطلقاً.[١]

ب- أهمية وجود الأب

لا يمكن تجاهل وجود الأب في الأسرة، ولقد أولت الأبحاث التجريبية هذا الموضوع بالاهتمام وعلى سبيل المثال ـ أبحاث بيترسون (١٩٦١) وبيكر (١٩٥٩) وموس ودستلر (١٩٥٩)، وستولز (١٩٥٤) ـ وغيرها.

وأهمية الأب في عملية التطبيع الاجتماعي تتمركز حول ثلاثة أسئلة.

١. كيف يتأثر الطفل في نموه في منزل بدون أب، أو في منزل يكون فيه الأب متغيباً معظم الوقت؟

٢. كيف يؤثر الأب على سلوك دور جنس الطفل؟

٣. عندما يكون للطفل مشاكل سلوكية، فهل هناك احتمال أن الأب قد يساهم في خلقها؟

"لقد أظهرت البيانات التي جمعت من خلال التجارب بأن البنات اللاتي كان آباؤهن متغيبين عن المنزل كن أكثر اعتماداً على الآخرين من البنات اللاتي كان آباؤهن حاضرين بالمنزل كما أن النتائج أظهرت أن الأولاد كانوا أكثر تأثير من البنات لعدم المصاحبة المنتظمة لآبائهم، كما أنهم كانوا غير ناضجين إلى حد كبير في أنماط سلوكهم، كما يبدو أنهم أقل تأكداً حول أدوارهم الجنسية، حيث أنهم كثيراً ما كانوا يتصرفون بطريقة رجولية مفتعلة ومبالغ فيها، وفي أحيان أخرى يتشبهون بالبنات في أنماط سلوكهم."[٢]

١- سيكولوجية الشخصية، مرجع سابق، ص٢٢٥.

٢- سيكولوجية الشخصية، مرجع سابق، ص٢٢٠.

"كما أن دراستين مبكرتين ألقتا الضوء على أهمية دور الأب وتأثيره على سلوك دور الجنس للولد وقد أوضحت دراسة باخ **Bach** (١٩٤٦) أن الأولاد بدون تواجد آبائهم، غالباً ما يكون لهم تخيلات وأنماط سلوكية شبيهة بتخيلات البنات وأنماط سلوكهن، كما أن بيانات دراسة أخرى أوضحت أن الأولاد الغائبون آباؤهم كانوا غير عدوانيين في لعبة الدمية مثل الأولاد ذوي الآباء المتواجدين. وعندما يألف الطفل جو العائلة بدون الأب فإنه لن يكون من السهل عليه أن يقبل عودة الأب إلى المنزل، وجدير بالذكر أن الأب عندما يكون داخل الأسرة فإنه بذلك يوفر نموذجاً ذكرياً لأولاده، لأن الطفل يحصل على خبرة قوية بقيامه بدور الأب، ويتبنى أكثر خصائص الأب، ويشمل ذلك بوجه خاص تلك التي تتعلق بدور جنسه... ولقد دلت البيانات التجريبية التي أمكن الحصول عليها صدق هذه التنبؤات..."[1] "إن النتيجة التي يمكن استخلاصها هي أن مشاركة الأب في المراحل المختلفة من حياة الطفل تؤثر تأثيراً هاماً في تطوره خصوصاً في الطفولة المتوسطة. إذ يمكن للأب أن يقوم بدوره في تشجيع الإنجاز المدرسي للطفل وفي وقايته من الانحراف وتجنيبه الجنوح. فمشاركة الأب عامل هام في نجاح الطفل ويرتكز اهتمام الأب بشكل خاص على الوضع المدرسي للأطفال فالمتابعة من قبل الأهل تؤدي إلى تحسن الإنجاز المدرسي. وعلى العكس من ذلك فعدم اهتمام الأهل بشؤون المدرسة يرتبط بقلة النجاح، وبتدهور المستوى الدراسي للأطفال ويكون الإنجاز المدرسي على علاقة بإدارة الأب ومدى تعاونه مع المعلم. ويلاحظ أن الصغير الذي يتمتع بعلاقات إيجابية مع الأب يظهر قلقاً كبيراً عند

١- سيكولوجية الشخصية، مرجع سابق، ص٢٢١.

انفصاله عنه في حالات الطلاق (Wallerstein and Kelly 1980) وربما كان موقف الأم من غياب الأب أكثر أهمية من غياب الأب بحد ذاته فالنتيجة المدرسية المتواضعة عند الأطفال ترتبط بموقف الأم السلبي من غياب زوجها. واهتمام الأب بشؤون الطفل يؤدي إلى تماسك الأسرة وتعاونها ويحد من احتمال ظهور السلوك المنحرف أو من سلوك الجريمة".[١]

٧. الخسائر المادية:

حين يُعقد الزواج على أساس مادي كأي صفقة تجارية، يترتب على طالب الزواج أن يدفع تكاليفاً باهظة مقابل التفاخر والإسراف، وغالباً ما يقع الزوج تحت وطأة الديون التي ترهقه، ومع وجود زوجة متطلبة تنشأ الخلافات وتعم الفوضى ثم يحصل الطلاق؛ والخسائر المادية التي تلحق بالزوجين بعد الطلاق تؤدي إلى تكبيلهما بالمزيد من الديون وقد يتم تحميل الزوج نفقة الأولاد. ومع متطلبات الأبناء قد تحرم الزوجة من حقوقها فتخسر المنزل والنفقة وتصبح عاجزة أمام واقع جديد لم تكن تتوقعه فمؤخر الصداق ليس ضماناً للمرأة وهناك نسبة مرتفعة من المطلقات يعانين من أوضاع نفسية واجتماعية صعبة. وكثيراً ما تكون الأعباء المادية، ووجود أولاد سبباً لمشاكل جديدة بالغة الخطورة على مستقبل العائلة. وكانت نسبة الذين يعانون من صعوبات مادية ضمن مجموعة الدراسة ٣٤.٩% أما نسبة الذين طلقوا مرة أخرى كانت ١١.٧% والذين طلقوا مرتين كانت نسبتهم ٧%، ونسبة الطلاق ثلاث مرات كانت ٢.٤%.

١- **الأمومة، مرجع سابق، ص٢٢٣.**

٨. فقدان الثقة بالجنس الآخر:

الثقة بين الأزواج ضرورية وأساسية وانعدام الثقة يدمر العلاقة.

وفقدان الثقة غالباً ما يكون بسبب الكذب أو الخيانة - قد تطرقنا لهذا الموضوع بشكل مفصل في سياق البحث - أو بسبب الغموض الذي يسبب الشك فعدم الصراحة تؤدي إلى نتائج مربكة. الزواج أساسه الثقة ومتى انعدمت الثقة يصعب إعادة بنائها، وكثيرون يحجمون عن الزواج بعد صدمة عاطفية تؤدي بهم إلى فقدان الثقة نهائياً بالجنس الآخر.

٩. تفكك الروابط والعلاقات بين الأسر:

أحياناً يؤدي الطلاق إلى مشاكل بين أهل الزوجة وأهل الزوج قد تصل إلى حدود ارتكاب جرائم قتل، وهذا يؤثر على سلامة البناء الاجتماعي، وظهور حالات التفكك واختلال التوازن في شخصية الأبناء الذين يشعرون بالخوف نتيجة هذه الخلافات، ولو قمنا بتفحص المحيط العائلي لمرضى الانفصام لوجدنا أن معظم هذه العائلات تعاني من صعوبات ومشاكل أسرية خاصةً بين الأم والأب.

ولا يمكن التقليل من أهمية الأسرة الممتدة التي تربطها أواصر المحبة والتعاون، ولا يمكن أن تتحقق سعادة الأفراد بين الأسر المتصارعة التي تسعى إلى الانتقام والشماتة.

الفصل التاسع

تحليل نتائج الجزء الميداني

منهجية البحث المتبعة في هذا الجزء

إن البحث في مشكلة مثل مشكلة الطلاق يتطلب مناهجاً متعددة، تتنوع ما بين مناهج رياضية كمية لمعرفة حجم ومدى انتشار الظاهرة، وتاريخية لمعرفة تطورها، وتحليلية لمعرفة مسبباتها وما يترتب عنها، ولا يمكن الاقتصار على منهج واحد فلا بد من اكتشاف الظروف الفردية والمتغيرات الاجتماعية، وعلى الباحث أن يهتم بتطور الوقائع، وبيان الظواهر، وأن يجاري كل الاتجاهات بعيداً عن النظرة الأيديولوجية، ولا بد من اكتشاف العلاقات القائمة بين هذه الظروف الفردية والمتغيرات، وهذا لا يتحقق إلا من خلال دراسة مجموعة من الحالات على أرض الواقع، أي البحث العملي الميداني؛ فلكل مجتمع أو فرد سمات معينة وخصائص والتجربة التي يمر بها شعب ما قد تختلف عن تجربة الشعوب الأخرى. ولهذا تم الاعتماد في هذا البحث على طرق متنوعة، منها نظرية، ومنها ميدانية استقصائية.

١- الطريقة النظرية:

وهي تقوم على دراسة المشكلة من خلال بعض المراجع لتكوين تصور نظري شامل حول مختلف قضايا الزواج والطلاق ليكون بمثابة سقف مرجعي يمكن الانطلاق من خلاله فلا يجوز للباحث أن ينطلق من الفراغ أو من خلال تصوراته الذاتية، أو الإيديولوجية.ولا يجوز للباحث أن يتنكر لبعض وجهات النظر مهما كانت، وعليه دراستها وتحليلها فهي تساعد في التوصل لكشف بعض الجوانب المهمة للموضوع من خلال تنوع الآراء. فالمراجع الموثقة تم اختيارها بالصدفة، ثم عملنا على استخلاص المشترك بينها.

٢- الطريقة الاستقصائية:

إن الحديث عن الطلاق لن يكون مجدياً، ولا يمكن التوصل إلى نتائج علمية إلا إذا استند الباحث على دراسة واقعية تمكنه من المقارنة بشكل موضوعي بين النظرية والفرضية وبين التجربة الواقعية التي توفر للدراسة طابعها العلمي؛ فلا يمكن لباحث اجتماعي أن يتوصل إلى نتائج دون معاينة واستكشاف الواقع للأسر المدمرة، ودون ملاحظة مدى التأثر الواضح عند الذين خبروا هذه التجربة كي يتمكن من الوصول إلى فهم أعمق وتحليل أشمل للظاهرة.

ولهذا قمنا بدراسة معمقة لعشرات الحالات وتعبئة استمارة مدروسة مع الأخذ بعين الاعتبار جميع الاحتمالات للإجابة، فكانت الأسئلة بمجملها مفتوحة، نظراً لفردية كل حالة. وكان الجانب الأهم للملاحظات المدونة في آخر كل مقابلة، وكان لا بد من مراعاة المشاعر أثناء الحديث، وعدم التطفل، وعدم استثارة الانفعالات التي تسبب التوتر

والضيق، فيصبح من الصعوبة إتمام المقابلة. ولا يمكن البحث في نتائج الطلاق دون العودة إلى ظروف الزواج. لهذا تم وضع أسئلة عن التاريخ الاجتماعي والأسري للزوجين انطلاقاً من بعض الفرضيات.

٣- بعض الفرضيات المعتمدة:

ــ يؤدي الطلاق إلى تحسين الوضع النفسي الاجتماعي لطالب الطلاق.

ـ عدم التوافق المباشر بين الزوج والزوجة يؤدي إلى احتمال حصول الطلاق.

ـ تؤثر محددات الزواج الأولية على مصير العلاقة بين الزوجين وتضم هذه المحددات (المعرفة المباشرة، تدخل الأهل، الاستعدادات والإمكانيات المادية، معرفة الحقوق والواجبات، العمر عند الزواج...)

ــ التحول الاجتماعي في معظم المناطق والسرعة في تطور المجتمعات أعطى النساء مزيداً من الاستقلالية الشخصية، وفي المقابل أدى إلى سلب الرجال بعض أسس سلطتهم، وهذا التحول شكل أزمة نظراً إلى الفرق الطبيعي بين طبيعة الرجل، وطبيعة المرأة.

ـ الاطلاع على الحقوق والواجبات قبل الزواج يساهم في تخفيف الظاهرة (من هذه الحقوق: البيت الشرعي، حق العصمة، إطاعة الزوج...)

٤- تحديد المجموعة الإحصائية:

وهي اختيار مجموعة من المطلقين والمطلقات حصل طلاقهم ما بين عامي ١٩٩٥و٢٠٠٦ من مختلف فئات المجتمع، دون التقيد بفئة معينة أو بعمر محدد، بهدف التوصل إلى إيجاد العوامل المشتركة بين مختلف هذه الحالات التي توصلت إلى الانفصال. ولمعرفة مدى تأثير الانفصال على كل حالة، والنتائج التي تركها الطلاق على كل من الزوج، والزوجة،

والأولاد. وكان العدد الإجمالي لهذه المجموعة ٤٣ حالة طلاق في هذه الفترة أي خلال عشر سنوات. كما أن البيانات التي جمعناها تم تفريغها في جداول إحصائية بعد تصنيف الإجابات المشتركة المسببة للمشكلة ضمن سبع فئات على الشكل التالي :

١. خيانة زوجية أو شك.
٢. نفور – إهمال عاطفي.
٣. استهتار، عدم مسؤولية. (وهنا الاستهتار غير الفقر).
٤. إدمان الكحول.
٥. العنف أو التحقير.
٦. عدم التكافؤ الثقافي أو الديني.
٧. مشاكل بسبب أولاد الزوج. (للذين تزوجوا أكثر من مرة).

أسباب رئيسية للطلاق من وجهة نظر المطلقين

جدول رقم (٣)

الرمز	الأسباب	التكرار	النسبة
١	الخيانة أو الشك	١٦	%٣٧.٢
٢	نفور وإهمال	١١	%٢٥.٥
٣	استهتار وعدم مسؤولية	٤	%٩.٣
٤	إدمان الكحول	٥	%١١.٦
٥	العنف، والتحقير	٣	%٦.٩
٦	عدم التكافؤ	٤	%٩.٣
٧	مشاكل بسبب أولاد الزوج	٥	%١١.٦

وقد ترافق العنف مع الإدمان في حالتين وقد ترافق الشك مع التحقير في حالتين ولهذا تم إدراج السببين ضمن الجدول.

نلاحظ من خلال الجدول أن أعلى نسبة للطلاق بين أفراد هذه المجموعة هي بسبب الخيانة الزوجية أو الشك، أما الدافع الحقيقي للخيانة الزوجية غير معروف كلياً لكنه قد يكون حاجة لا شعورية متأصلة في نفسية الرجل أو المرأة لأسباب مرضية ويفسر "كيوبي" هذه الناحية فيقول: "حين يريد الرجل أو المرأة، أن يثبتا أن في استطاعتهما أن يكونا موضع حب فإن هدفهما يصبح ممكن التحقيق فقط إذا كانت محاولتهما محفوفة بكثير من المخاطر والصعاب حتى يثبتا أنهما يمكن أن يكونا محط إعجاب الكثيرين، والصفة المصاحبة لهذه الحالة دائماً صفة تدعو إلى التعاسة والحزن، لأنها دائماً شرهة نهمة لا ترتوي أبداً، فكلما كان هناك أي شك ذاتي لا شعوري، فإن الحاجة إلى الإثبات تتكرر لا محالة، فهناك على سبيل المثال الرجل الذي يعاني من شكوك لا شعورية بشأن مقدرته الجنسية؛ مثل هذا الرجل لا يستطيع أن يقنع بامرأة واحدة يبادلها الحب دائماً يريد أن يجرب إن كانت مقدرته ستنجح مع غيرها من النساء أم لا، لذلك فإن حاجته العصابية اللاشعورية إلى إثبات الذات تقوده في النهاية إلى الخلط الجنسي وهذا ما نجده دائماً في الرجل الذي يطلق عليه لقب "دون جوان" أو في الفتاة التي تعرف بأنها ذات شهية تجري في جنون، من شبح المخاوف والشكوك، التي تلاحق كلاً منهما في كل مكان والتي تجد بعض الراحة المؤقتة في التخليط الجنسي وينتهي "كيوبي" من ذلك كله إلى أن أحد التحديات الأساسية التي تواجهنا هذه الأيام هو اكتشاف طريقة نُعلم بها الناس كيف يميزون

ويفرقون بين أهدافهم الشعورية الممكنة التحقيق من جهة وبين أهدافهم الغير ممكنة من جهة أخرى... أي تعمق الشخص في معرفة ذاته وسبر أغوارها اللاشعورية البعيدة".

ويقترح "كيوبي" من أجل ذلك تعديل النظام التعليمي بحيث يُمكن كل شخص في سن مبكرة من تبصر حاجاته الخاصة به وبذلك يستطيع أن يحقق نضجاً عاطفياً مبكراً يتواءم مع نضجه العقلي والجسمي كي يتمكن من معرفة كيفية الاختيار المناسب للشريك. ويضيف "كيوبي": "أنه منذ طلع علينا سقراط بشعاره اعرف نفسك لم نجد أن العلم قد أضاف كثيراً لتحقيق هذا الشعار لأن النسق التعليمي يضع في المحل الأول من الاعتبار التعليم في الكيمياء، أو الفيزياء، أو الاقتصاد، أو التاريخ... ولكنه لم يساهم في معرفة النفس وسبر أغوارها اللاشعورية ... إن التربية الجنسية إذا توفرت قد تساهم في حل هذه المشاكل"[١]

ومن الواضح أن استمرارية الحياة المشتركة مع وجود الخيانة شبه مستحيلة، والشخص الذي كان ضحية للخيانة يشعر بنقمة ورغبة في الانتقام وأحياناً تجر الخيانة إلى خيانة مماثلة، والحلول تحتاج إلى الكثير من الصبر والمغفرة، ودخول الله في حياة الطرفين.

١- المستوى الثقافي:

أظهرت نتائج العينة المدروسة أن الطلاق يقع بين المتعلمين وبين الأميين بنسب متقاربة ونستخلص أيضاً من النتائج أن الاختيار للزواج يتم غالباً بين فئات متقاربة من حيث المستوى التعليمي.

١- الاختيار للزواج، مرجع سابق، ص. ٢٣٥-٢٣٦.

حدول رقم (٤)
جدول مستوى التعليم

	ابتدائي	متوسط	ثانوي	جامعي
العدد	١٠	١٣	١١	٩
النسبة	%٢٣.٢	%٣٠.٢	%٢٥.٥	%٢٠.٩

إن البيانات في هذا الجدول تؤكد أن أعلى نسبة طلاق تقع عند الفئة المتوسطة من حيث المستوى التعليمي، وهؤلاء ما يمكن تسميتهم "أنصاف المثقفين" أو الذين يدعون المعرفة. كما لا توجد إشارة أن التفاوت العلمي أو الثقافي بين الزوجين قد يؤدي إلى الطلاق فالاختيار غالباً ما يتم بين الأفراد المتقاربين في المستوى الثقافي، ومشكلة الثقافة مرتبطة بمشكلة في صميم المجتمع وفي القيم السائدة التي تعتقد أن التعليم يرفع المستوى الأدبي والخلقي للشخص ويعطيه مكانة ومركزاً مرموقً بغض النظر عن مدى ثقافة المتعلم و مدى مرونته، و مدى أخلاقياته التي اكتسبها بعد سنوات طويلة من التحصيل العلمي، ومدى قدرته على توظيف مخزونه العلمي في الحياة العملية الواقعية. ولا قيمة للمستوى العلمي إذا لم يقترن بالقيم والأخلاق والثقافة فهناك فرق كبير بين المتعلم وبين المثقف والمتعلم.

ونلاحظ النسبة شبه متقاربة بين ٢٣.٢% للمطلقين في المستوى الابتدائي و ٢٠.٢ % للمطلقين في المستوى الجامعي، وهي نسب متقاربة.

ويمكن الربط أيضاً بين الزواج المبكر ونسبة الطلاق أكثر من ربط هذه النسبة بالمستوى التعليمي لأن الزواج المبكر أو المتسرع قد يؤدي إلى الطلاق. والزواج المبكر يمنع الزوجين من متابعة تحصيلهما العلمي. فيكون السبب المباشر للطلاق هو التسرع في الاختيار و ليس المستوى

التعليمي. وكذلك عدم التجانس في المستوى الاجتماعي أو الديني أو الاقتصادي من أسباب الطلاق و ليس مستوى التعليم بحد ذاته.وتشير أكثر الدراسات أن ٣٠% من حالات الطلاق تحصل قبل أن تنتهي السنة الأولى من الزواج، وهذا مؤشر واضح على عدم التجانس في الأفكار.

٢- كيفية الاختيار:

في معظم الدراسات يتم التركيز على أن حرية الاختيار في الزواج تقلل من احتمالات الطلاق، في هذه الدراسة برهنت النتائج عكس ذلك، وفي الجدول التالي نلاحظ بوضوح عامل الحرية في اختيار الشريك، ففي كثير من الحالات المشار إليها تم الزواج عن اقتناع تام ورغم ممانعة الأهل أو تحفظهم، وهذا مؤشر عدم معرفة بشؤون الزواج، وليس بسبب الإكراه.

جدول رقم (٥)

الرمز	كيفية الاختيار	التكرار	النسبة
١	معرفة مباشرة	١٩	%٤٤.١
٢	سعي الأهل	٤	%٩.٣
٣	سعي الأصدقاء	١٢	%٢٧.٩
٤	قناعة شخصية	٨	%١٨.٦

٤٤.١% معرفة مباشرة، مقابل ٩,٣% سعي الأهل.

أما عن العوامل التي ساهمت في تحديد الاختيار قد كانت على الشكل التالي:

جدول رقم (٦)

الرمز	العوامل المباشرة	التكرار	النسبة
١	الهيئة	٢٢	٤٤.١%
٢	الثقافة	٣	٩.٣%
٣	الوظيفة	١٠	٢٧.٩%
٤	سمعة العائلة	٤	١٨.٦%
٥	الصفات الأخلاقية	٣	٩.٣%
٦	غير محدد	٤	٩.٣%

نلاحظ من خلال هذا الجدول أن أعلى نسبة للاختيار كانت على أساس الهيئة أو الشكل الخارجي، بينما نسب الاختيار على أساس الثقافة أو الصفات الأخلاقية كانت ٩.٣% فقط، فلم يتم اعتبار ناحية التجانس في الميول والاتجاهات. والزواج الناجح لا يبنَ على أساس الهيئة. ولا يجوز الحكم على الأشخاص من خلال الشكل الخارجي، إن ما يجعل الشخص جميلاً ليس الصفات الفيزيقية. وكم من الأشخاص حين نقابلهم للمرة الأولى قد نشعر تجاههم بالنفور ثم لا نلبث أن نغير من مشاعرنا، فالجمال حكم عام يُبنى على تصور سابق أو حسب الموضة أو حسب توافق المجموعة.ومن الواضح بأنه لا يوجد معيار أو قاعدة يُعتمد عليها عند اختيار الشريك، ولكن المعيار الوحيد الذي يمكن تحديده هو الشعور بالرضى تجاه الشخص الآخر.

الحكم الجمالي يختلف بين الشعوب مثلاً: قديماً كانت المرأة

السمينة هي المفضلة، أما الآن فأصبحت تُعتبر خارج الإطار الجمالي، فلا يوجد معيار أو قاعدة يعتمد عليها الذوق، وما يراه البعض جميلاً قد لا يراه البعض الآخر نظراً للتباين بين الأذواق. ولا يجوز فصل الأحكام الجمالية عن الأحكام الأخلاقية. فإن مستوى التجانس في الأفكار والاتجاهات والميول هو الذي يحدد مدى نجاح العلاقة وليس الشكل الخارجي.

٣- مدى فاعلية تدخل الأهل:

هل ينجح الأهل في حل الخلافات بين الزوجين؟:

جدول رقم (٧)

الرمز	المتغير	التكرار	النسبة
١	لم يتدخل أحد	١١	٢٥.٥%
٢	أهل الزوجة	١٨	٤١.٩%
٣	أهل الزوج	٢١	٤٨.٩%
٤	جهة شرعية	١	٢.٣%
٥	أصحاب	٦	١٣.٩%
٦	أكثر من جهة	٣	٦.٩%

من الواضح أن تدخل الأهل لم يساهم في حل المشكلة، فالطلاق قد وقع رغم تدخل أهل الزوج أو أهل الزوجة ويظهر من خلال البيانات أن حالة واحدة تم اللجوء فيها إلى جهة شرعية، وهذا يدل على عدم معالجة المشاكل الزوجية بشكل صحيح، لأن تدخل الأهل وخاصة الأهل ذوو الخبرة المنعدمة أو الذين يعانون أيضاً من مشاكل مماثلة ولا يجدون لها حلولاً قد عقد الأمور أكثر مما ساهم في حلها؛ بينما الجهة المختصة في أمور الأسرة لم يتم اللجوء إليها إلا في حالة واحدة، وهذا دليل الافتقار

إلى التوعية الأسرية. ومن الضروري إصدار تشريعات جديدة تحتم وجود مرشدين من ذوي الخبرة للتوجيه الأسري في المحاكم الشرعية، بحيث تكون مهمة هؤلاء محاولة حل الخلافات العائلية قبل أن تصل إلى مرحلة الطلاق، عن طريق إسداء النصح والتوجيه، وتعليم أساليب ومهارات التواصل بين أفراد الأسرة. وهناك ملاحظة مهمة هي أن النساء يطلبن مساعدة الأخصائيين أكثر من الرجال، وهذا الامتناع يكون إما بسبب الكبرياء أو بسبب الجهل بأهمية الحلول العلمية.

٤ـ أهمية فترة الخطبة

الجدول رقم (٨)

عدد الأشهر	١ ← ٥	٥ ← ١٠	١٠ ← ١٥	١٥ ← ٢٠	وما فوق
التكرار	١٢	٥	١٢	٥	٩
النسبة	٢٧.٩	١١.٦	٢٧.٩	١١.٦	٢٠.٩

لا يظهر الجدول أي مؤشر واضح حول أهمية فترة الخطبة، بل إن النسب كانت مطابقة بين المراحل بشكل ملفت، وهذه النتائج تؤكد عدم الجدية في التعاطي مع هذه المرحلة. رغم أن الخطبة تُعتبر فترة للتعارف ولكنها تفرض على الشريكين التزامات اجتماعية ومادية ووعوداً كثيراً ما تحول دون الرجوع عن قرار الزواج، وخلال فترة الخطبة لا يُظهر الشريكين إلا أفضل ما عندهما وتكثر الأحلام والتوقعات، ويتم التغاضي عن كثير من الهفوات أو السلوكيات، وما يمكن التغاضي عنه خلال فترة الخطوبة يصبح من الأمور المزعجة التي لا تُحتمل بعد الزواج.

ويرى "وولر" ــ وهو على رأس من كتب في هذا الموضوع ــ

"إن التظاهر وعدم الإخلاص صفتان أساسيتان من صفات المواعدة وهو لا يرى فيها أية فائدة، من حيث أنها قد تؤدي إلى زواج ناجح، بل يرى أنها نوع من التسلية، وقضاء الوقت الممتع ليس إلا.

وكذلك تجد "مارجريت ميد" في المواعدة عائقاً للسعادة في الزواج، وترى أنه كلما كان الشباب أكثر نجاحاً في المواعدة فإنهم يكونون أقل استعداداً لأن يتوافقوا توافقاً ناجحاً في الزواج".[١]

٥- نشاطات وقت الفراغ:

إن طرق قضاء وقت الفراغ تلعب دوراً هاماً في قراءة توجهات الأفراد وتعطي فكرة واضحة عن سلوكهم العام،إن النشاطات التي يقوم بها الأفراد تساعد على تنمية المهارات، وعلى تحقيق الراحة النفسية؛ فإن أنشطة وقت الفراغ التي تجري بصورة مشتركة بين الزوج والزوجة تحقق شعوراً من الراحة، وتقرب المسافة بين أفراد العائلة. كما أن بعض النشاطات قد تصبح مصدراً للمشاكل إذا لم يحسن الزوجان اختيارها، أو إذا تعارضت مع ميول الشريك.

وقد وجدنا من خلال البحث أن القسم الأكبر من الأزواج الذين يعانون من مشاكل يقضون أوقات الفراغ في أمور لا تعود بالنفع عليهم ولا تحقق الراحة النفسية لهم ولا لعائلتهم مثلاً: شرب الكحول، أو السهر في الحانات، أو لعب الورق، وغيرها من وسائل التسلية الغير مجدية؛ هذه الوسائل تسبب الكثير من المشاكل داخل الأسرة.

* وهذه بعض الأمثلة:

١. قراءة الكتب: ٤.٦ % من المطلقين والمطلقات كان لديهم اهتمام

١- الساعاتي سامية، الاختيار للزواج، دار النجاح، بيروت، ١٩٧٣، ص٤٠.

بموضوع مطالعة الكتب.

٢. قراءة المجلات أو الجرائد:١١.٦ %، ونلاحظ الفارق الكبير حيث أن نسبة الذين يفضلون قراءة المجلات والجرائد أكثر منتسبة الذين يقرؤون الكتب.

٣. مشاهدة التلفزيون: ٢٥.٥ %

٤. لعب الورق: ٢.٣%

٥. شرب الكحول والسهرات مع الأصحاب: ١٦.٢ %

٦. زيارات: ١١.٦ %

٧. التنزه: ٩.٣ %

٨. أعمال تطوعية:٢.٣ %

٩. جمعيات: ٢.٣ %

١٠. كتابة الشعر: ٦.٩ %

١١. لجنة أهل مدرسية: ٢.٣ %

١٢. رسم: ٢.٣ %

١٣. عمل حزبي: ١١.٦ %

١٤. شعائر دينية: صفر % وهذه النسبة كانت ملفتة للنظر.

ويمكن معرفة توجهات المجموعة من خلال هذه الأرقام. مثلاً: لا يوجد اهتمام بالشعائر الدينية مع أنها تؤمن الراحة النفسية، ولا يوجد اهتمام أو تعاون مع لجان الأهل في مدارس الأبناء، وهذا دليل على عدم متابعة أوضاع الأولاد في المدرسة. وكذلك عدم الاهتمام بالرسم، أو الموسيقى، أو الأدب. كما أن قراءة المجلات كانت مفضلة على قراءة الكتب. ولم يتم التطرق نهائياً إلى الرياضة رغم فوائدها على الصحة

الجسدية والنفسية. بينما نجد نسبة مرتفعة تهتم بالنشاطات الحزبية و هذا انعكاس واضح لتأثير الإعلام السياسي في البلد أكثر من تأثير الإعلام الثقافي أو التربوي.

٦- الخيانة الزوجية:

هل يمكن للعلاقة أن تستمر بعد الخيانة ؟ إن المواقف حيال هذه المشكلة كانت صارمة. فلا يمكن نسيان جرح الخيانة. لأن وقع هذه التجربة كان مؤلماً على كل الذين واجهوا هذه الصدمة. وبمجرد التفكير بالموضوع، يشعر الفرد الذي تعرض لهذه الحالة بثورة من الغضب والتوتر. فما هي الدوافع التي ضاعفت من انتشار هذه الظاهرة؟ أمور كثيرة تدفعنا للتساؤل. ولكن من الملاحظات الأساسية والتي باتت مؤكدة من خلال الملاحظات ومن خلال الدراسات العديدة هو التحول السريع من مجتمعات محافظة تتبع القيم الدينية إلى التربية المتساهلة، والإباحية التي انتشرت مؤخراً بشكل بات يهدد سلامة العائلة. فلا شك أن الزواج يلزمه الإخلاص والتعقل وكبح الرغبات والعودة إلى الدين الذي أثبت أنه الرادع الأول والحل المثالي، فلا وجود للخيانة عند المؤمنين الحقيقيين الذين يعتبرونها خيانة للمبادئ الأخلاقية وهي إحدى نتائج الخطيئة الأصلية التي سببت طرد آدم من الجنة، والمؤمن يخاف من العقاب الذي يستحقه الزاني والزانية؛ مثلاً: في القرآن الكريم تُفرض عقوبة الرجم على الزناة.

﴿الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا مِئَةَ جَلْدَةٍ وَلَا تَأْخُذْكُم بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا طَائِفَةٌ مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ (سورة النور الآية \ ٢)

وفي الكتاب المقدس كان العقاب أقسى من الرجم:

(قد سمعتم أنه قيل للقدماء لا تزنوا. وأما أنا فأقول لكم إن من ينظر إلى امرأة ليشتهيها فقد زنى بها في قلبه. فإن كانت عينك اليمنى تُعثرك فاقلعها والقها عنك لأنه خير لك أن يهلك أحد أعضائك ولا يلقى جسدك كله في جهنم. وإن كانت يدك اليمنى تُعثرك فاقطعها والقها عنك لأنه خير لك أن يهلك أحد أعضائك ولا يلقى جسدك كله في جهنم.) (إنجيل متى الإصحاح الخامس الآية ٢٧ \ ٣٠)

وهذه المحاذير الصارمة تردع المؤمن فلا يُقدم على خيانة شريكه. والطرف الذي يقع ضحية الخيانة يشعر بمرارة وخيبة أمل وشعور بعدم الأمان، فالخيانة هي أقصى مظاهر الأنانية، ومتى ارتكبت مرة يسهل تكرارها، والحب والخيانة لا يلتقيان ولا شيء يبررها لا الحاجة الجسدية ولا الحرمان العاطفي.

٧- عدم معرفة الحقوق والواجبات:

هذه النتيجة كانت من النتائج الملفتة إلى حد كبير (٨٣.٨ %) لا يعرفون ما معنى الحقوق والواجبات الزوجية، والذين يعرفون البعض منها؛ لا يعرفون غير المهر أو الصداق - يعني الناحية المادية فقط- والذين كانت إجاباتهم نعم وهم (١٦.٣ %) لا يعرفون إلا بعض هذه الحقوق. فكيف يمكن عقد قران من لا يدركون معنى بنود العقد. وحتى أبسط الحقوق تم تناسيها كحق الاحترام المتبادل، والتعاون، ورفع الروح المعنوية إلخ...،هذه الحقوق لم يُغفلها الشرع. ومن أحاديث الرسول(ص) لامرأة سألته:" ما حقي على زوجي" قال:" حقك عليه: أن يطعمك مما يأكل، ويكسوك مما يلبس، ولا يلطم ولا يصيح في وجهك." ومن أقوال الرسول أيضاً:" أيما امرأة لم ترفق بزوجها وحملته ما لا يقدر عليه وما لا يطيق لم يقبل الله منها حسنة وتلقى الله وهو عليها غضبان"

فكيف يمكن أن تستمر الحياة حين تستفحل الأنانية بين الزوجين، فعلى الزوجة أن تساند زوجها، وترفع من روحه المعنوية، وتحثه على عدم اليأس إذا واجهته أي مشكلة، وعليها أن تعرف منذ البداية مدى قدرات الزوج فلا تُحمله ما لا يقدر أن يتحمله. وعلى الزوج أن يعطف على زوجته ويحترمها ولا يُسخرها في سبيل خدمة أهوائه فقط.

٨- مستوى الالتزام الديني:

بات من الواضح أن الدين يعتبر من المؤشرات الهامة التي تُحدث تغييراً في الحياة العائلية،و هذه الناحية تناولناها بشكل مفصل في سياق البحث، ومن الواضح من خلال المعطيات التي حصلنا عليها أن الالتزام الديني يقلل من حدوث الطلاق.

وكانت نسبة المطلقين الغير ملتزمين دينياً الذين تم سؤالهم(٦٧,٥ %) و(٢١%) لديهم التزام ضعيف و(٢,٤) ملتزمون. للدين تأثير واضح ومباشر على كيان الأسرة واستقرارها، فالأشخاص الذين يتمسكون بالقيم الدينية ويعملون بموجبها تكاد مشاكلهم أن تكون نادرة أو قليلة، حيث لا يخلو بيت من المشاكل، ولكن هناك فرقاً كبيراً بين المشاكل السطحية والعابرة وبين المشاكل المدمرة. وبات من المؤكد أن كلمة واحدة فيها كل الحلول وفيها ما يعيد الحياة إلى تلك النفوس المحطمة المثقلة بالأسى وهذه الكلمة هي الله .

وتشريع الزواج بالمعنى الديني جاء ليحقق معنى الأبوة والأمومة والصحبة فهو رابط مقدس ضروري لاستقرار الإنسان، وليس علاقة شهوانية خاضعة للمزاجية والأهواء بل هو التزام متبادل بين الزوجين لتكوين أسرة صالحة.

٩- الوضع الاجتماعي للأسرة:

ومن الأمور التي تعتبر ذات دلالة واضحة أيضاً، السؤال عن الوضع الاجتماعي لأهل الزوج وأهل الزوجة ــ إذا كان لديهم طلاق في العائلة، أو زواج سابق ــ فأظهرت النتائج ما يلي: (٢٧.٩%) من الحالات يوجد لديهم طلاق في الأسرة، أو هجر، عند أهل الزوج أو أهل الزوجة، و(١٦.٣%) يوجد لدى أحد آبائهم زواج سابق، و(١١.٧%) من العائلات فيها حالات وفاة تسببت بحرمان من عاطفة أحد الأبوين. وتأثير مشاكل وانفصال الأهل على الأبناء قد أشرنا إليه في الفصول السابقة ضمن هذا البحث.

١٠- تأثير الوضع المادي:

أما في ما يخص باقي الأسئلة المتعلقة بهذه الناحية لم تكن ذات دلالات مهمة مثلاً السكن لم يكن سبباً من مسببات الطلاق، ولا الوضع المادي تم التصريح عنه بشكل دقيق. الوضع المادي كان سبباً من أسباب المشاحنات فقط، فالفقر يؤدي إلى مشاكل لا حصر لها، ولكنه لا يسبب الكره بين الزوجين إذا وجد الإيمان والصبر والنوايا الصادقة، ومن الملفت وجود عائلات تعيش حالات من الفقر الشديد ولكنها متماسكة، بينما هناك عائلات تنعم بالرخاء ولكنها متفسخة.

١١- السؤال عن دور القاضي:

أما السؤال عن القاضي فقد كان بهدف معرفة مدى التساهل أو التشدد في الأحكام للحد من هذه الظاهرة، وبما أن القاضي هو الحكم الذي يفصل في هذه القضايا، ويطبق القوانين، كان لا بد من التطرق لهذا الجانب الأساسي في مشكلة الطلاق، ومن الضروري معرفة الكيفية التي تنظم هذه الناحية في بلد يجمع بين محاكم خاصة

بالطوائف ولا يعتمد على محاكم مدنية. ففي لبنان تختلف المحاكم وأصول المحاكمات ـــ بين المذاهب المتعددة، والقضاء الديني هو جزء من تنظيمات الدولة القضائية، وهذا الوضع جعل الأحكام غير موحدة في مجتمع صغير تتعايش فيه الطوائف ضمن مساحة جغرافية صغيرة. ولكل طائفة حق إدارة شؤونها وحق التشريع والقضاء. وهناك تباين واضح بين الطوائف فيما يخص انحلال عقد الزواج. فالطوائف الكاثوليكية تعتبر عقد الزواج رابطة أزلية غير قابلة للفسخ. أما بالنسبة للطوائف الإسلامية يحق للرجل أن يطلق زوجته في أي وقت. ويمكن أن يكون الطلاق شفاهاً أو كتابة. وتتعدد المحاكم في لبنان مع تعدد طوائفه ولكل طائفة محكمة خاصة بها.

١- تتألف المحكمة السنية من قضاة سنيين شرعيين، ويشترط أن يكون القاضي قد تخرج من الأزهر الشريف، أو أن يحمل إجازة في الحقوق.

٢- وتتألف المحاكم الجعفرية من قضاة جعفريين، ويشترط أن يكون القاضي قد تخرج من النجف الأشرف، وأن يكون حائزاً على شهادة الدروس الدينية العليا، أو إجازة الحقوق من الكليات التي تدرس أحكام الشريعة الإسلامية.

٣- ويشترط في المحاكم المذهبية الدرزية أن يكون القاضي درزياً، وأن يكون مجازاً في الحقوق أو من حملة الشهادات الجامعية.

٤- أما في المحاكم المذهبية والروحية غير الإسلامية فقد وضعت كل طائفة قوانيناً خاصة بها من حيث تنظيم محاكمها وأصول المحاكمات لديها. ففي الكنيسة الكاثوليكية، يطبق قانون المحاكمات في الكنيسة المشرقية الكاثوليكية، ويتولاها قاض بدائي في كل أبرشية

هو الرئيس الكنسي المكاني. أما عند الروم الأرثوذكس فهناك أيضاً محكمة بداية يترأسها مطران الأبرشية بوصفه قاضياً منفرداً، و هو يصدر قراراته باسم الكنيسة الأنطاكية الأرثوذكسية .

وكذلك الأمر بالنسبة لباقي الطوائف الأخرى مثل الطائفة الأرمنية، والطائفة الإنجيلية، فقد وضعت قوانين لأصول المحاكمات والمرافعات خاصة بهم.

فالقضاء الديني يعتمد على الأسس الدينية الذاتية لكل طائفة. ولا يتم اعتماد قانون مشترك، و لذا يتم استغلال هذه الناحية من قبل بعض الأشخاص؛ بهدف تغيير بعض الأوضاع القانونية، نظراً للفرق بين المحاكم في تطبيق القوانين المتبعة، وأصول المحاكمات ما بين طائفة وأخرى حتى ضمن المنطقة الواحدة. وهذا الواقع لا يجسد مبدأ المساواة أمام القضاء، حيث يختلف النظر إلى المشكلة باختلاف الطائفة. و من الملاحظ أيضاً أن نظام اعتماد القاضي الفرد ضمن المحاكم ، يخرج الأحكام بمظاهر مختلفة، فالقاضي المنفرد يتمتع باستقلالية وحرية في إصدار الأحكام ويتمتع بصلاحيات واسعة.

ومن الملفت أن التخصص في علم الجزاء، وعلم دراسة النفس البشرية أو السيكولوجية القضائية وهو علم يتطلب خبرة وتخصصاً غير متوفر في هذه المحاكم، وأحياناً يتأثر القاضي في المجتمعات الصغيرة بالإشاعات ولا يتمكن أن يتحرى بشكل علمي من استثبات الوقائع إما لضيق الوقت أو بسبب عدم معرفة أو خبرة فيما يتعلق بطرق إثباتها أو بسبب عدم قدرته على الاستنباط والاستنتاج. والمشكلة الكبرى في بعض القوانين التي تحددت بدقة ولا يستطيع القاضي أن يتجاوزها، فكم من الرجال قد ألحقوا العار بزوجاتهم ظلماً ليتخلصوا من دفع حقوقهن الشرعية.

والقوانين الشرعية لا تعد جزءاً من تنظيمات الدولة القضائية، والنظام القضائي الديني يعطي الطوائف الدينية امتيازاً بتطبيق القوانين المتعلقة بالحقوق العائلية الخاصة بكل طائفة، فهناك حرية مطلقة لإصدار الأحكام من قبل المحاكم المختصة ولا يجوز نقض أحكام المحاكم الشرعية أمام محكمة النقض، ولكن يمكن لمحكمة النقض أن تراقب مدى تقيد المحكمة الشرعية أو المذهبية بحدود اختصاصها.

ولا يوجد في لبنان زواج مدني ولكن هناك محاكم عدلية للنظر في بعض القضايا المتعلقة بالحقوق العائلية من ضمنها مسائل الزواج المعقود في الخارج بين لبنانيين أو بين لبناني وأجنبي وفق القانون المدني الذي لا تعترف به الطوائف في لبنان.

وبسبب طبيعة الاختلاف بين القوانين المتبعة ليس من المستغرب أن تتأثر أحكام الطلاق، وتتفاوت نسب حصوله بين أفراد المجتمع الواحد حسب الانتماء الطائفي.

ولكن الإجابات عند أفراد العينة كانت شبه متقاربة حول مدى المعاناة التي تكبدها المتقاضين أمام المحاكم، وكان هناك شبه إجماع حول الاختلاف في الأحكام، فمعظم الأحكام في مجتمعنا خاضعة لذاتية الإنسان، نفس الموضوع يفسر تفسيرات مختلفة، وهناك متناقضات واضحة في التعليل؛ مثلاً: تعاطي الخمور يُعتبر عادة اجتماعية مقبولة عند بعض الناس، ورغم أن هذه العادة تتحول مع مرور الوقت إلى إدمان على الكحول، وعندما يدمن أحد الأشخاص على الخمر يُوصف بالمنحرف، فكيف يمكن القبول بالمسبب والاستنكار للنتيجة. أما عند فئات أخرى من الناس يُعتبر تعاطي الكحول من المحرمات. والخيانة مثال آخر:

فقد يكون عند البعض من الأمور التي تحصل بشكل عادي، بينما لا تكون مقبولة بالمطلق عند البعض الآخر؛ وسلوك الرجل يلقى تبريراً لدى المجتمع أكثر من سلوك المرأة رغم أن الخطيئة واحدة.

١١- السؤال حول دور المحامي:

هذا السؤال كان بهدف معرفة مدى تأثير وجود المحامي على سير القضايا، وقد بات من الواضح أن وجود المحامي يسرع من إتمام معاملات الطلاق، ويقلل من إمكانية المصالحة، بسبب التقارير التي يتم رفعها والتي تُظهر الطرف الثاني بصورة المعتدي والمستبد وأحياناً المجرم. مما يعمق الفجوة بين طرفي النزاع. وفي بعض الحالات يقع الظلم على الطرف الذي لا يملك الإمكانية المادية لدفع نفقات المحامي.وهذا الوضع تثبته العديد من الدراسات التي أمكننا الاطلاع عليها.

"ولذلك فالطلاق عملية مريحة جداً للمحامين، وعندما يقع بين الأغنياء والمشاهير فهذا يكون مدعاة لكتابة كيلومترات الأعمدة على صفحات الجرائد ... فعندما يدخل المحامون والصحفيون، فإن الأمور تتأهب لأن تصبح مكلفة وكريهة"[١].

١٢- مدى موافقة الأهل على الزواج:

هل يمكن القول من خلال النتائج التي حصلنا عليها أن موافقة الأهل على الزواج لها دور إيجابي؟. ويمكن من خلال هذا الجدول البسيط لمس النتائج، فالنسب جاءت متقاربة وهذا يثبت أن الزواج قناعة شخصية وحسن اختيار أكثر مما هو موافقة أو عدم موافقة المقربين.

جدول رقم (٩) / نسبة موافقة الأهل

١- الطلاق مرجع سابق ص: ١١.

	التكرار	النسب
موافقون	١٣	٣٠.٣ %
محايدون	١٦	٣٧.٢ %
ممانعون	١٤	٣٢.٦ %

١٣- تأثير العمر عند الزواج:

تشير معظم الإحصاءات أن نسبة ٨٥ % من النساء يتزوجن ما بين العمر ٢٥ و ٣٤ عاماً. كما تظل نسبة قليلة من النساء عازبات بعد سن الخامسة والثلاثين. ولم تقتصر الدراسة على المطلقين والمطلقات فقط أثناء إجراء الدراسة. فمنهم من طلق منذ سنوات وهو في الوقت الحالي متزوج، ومنهم من يطلق للمرة الثانية أو الثالثة ولقد تم اعتماد العمر عند الزواج الأول في الجدول التالي:

جدول رقم (١٠)/ جدول العمر عند الزواج

مستوى العمر	١٦-٢٠	٢١-٢٥	٢٦-٣٠	٣١-٤٠	أكثر من ٤٠
العدد	١٧	١٨	٦	٢	-
النسبة	%٣٩.٥	%٤١.٨	%١٣.٩	%٤.٦	-

ويظهر من خلال هذا الجدول أن الزواج المبكر من العوامل المسببة للطلاق ومهما اختلفت دوافع الزواج المبكر فهي عموماً تؤدي إلى مشاكل بسبب عدم تقدير المسؤولية أو بسبب فارق السن أو بسبب الإكراه على الزواج، ولا يمكن أن نُهمل الناحية الاقتصادية للذين يتزوجون في أعمار مبكرة، وعدم إلمام الزوجين بتنظيم النواحي المادية يزيد من احتمالات فشل الزواج.

الخاتمة

كلمة أخيرة في هذا الموضوع

غالباً ما يتم التركيز أثناء إجراءات الطلاق على النواحي المادية والقانونية، أما المسائل النفسية نادراً ما يتم التعامل معها بشكلها الصحيح، ولا يتم التفكير بالنواحي السلبية التي سيتركها الطلاق على كل من الزوجة والزوج والأولاد وعلى العلاقات بين الأسر وهذا خطأ جسيم. وهناك خوف من عواقب الطلاق مهما كانت الأشكال التي تتخذها هذه الإجراءات؛ كثيرون هم الذين يسعون للانتقام، والتشهير، أكثر من سعيهم للتسامح، ومحاسبة النفس، ومراجعة المواقف. إن الاتهامات المتبادلة بين الزوجين سواء كان لها ما يبررها أم لا، يجب تحاشيها كي لا تؤثر على مستقبل الأولاد. ويجب أن تنتهي العلاقة على أساس من التفاهم والوضوح، وعدم إضمار الشر للطرف الآخر، والعمل على إعادة النظر في جوانب كثيرة في شخصياتنا وسلوكنا، وردود أفعالنا.

بعد خوضنا في دراسة موضوع الطلاق بشكل مسهب ودقيق ولسنوات، أصبح من المؤكد أن البيت المثالي الذي تتوفر فيه الطمأنينة

هو البيت الذي ينشده معظم الناس. ولكن ما الوسيلة التي تؤدي إلى بناء مثل هذا البيت؟

سؤال كان يستحق العناء ويستحق البحث.ولكن البحث في المسائل الإنسانية معقد جداً، حتى ولو كان هناك سلسلة متصلة من الأسباب والنتائج فهناك حالات تشذ عن القاعدة بسبب الأفعال الإرادية عند الإنسان. فلا يجوز أن نستخلص النتائج من خلال الأقاويل أو من خلال نوايا البشر أو مشاعرهم فالمشاعر ليست مركبات مادية يمكن الاعتماد عليها فهي قد تكون مشاعراً صادقة أو مصطنعة بسبب القدرة على التمثيل عند بعض الأشخاص، وهذه الأفعال تتشابه في كل الأمكنة وكل العصور؛ فحب الذات واتِباع الأهواء، أو التضحية والكرم، سِمات يتصف بها الناس بتفاوت كبير فيما بينهم، ولكن ردود الفعل تختلف بين شخص وآخر، وبالتالي تكون النتائج مختلفة تجاه نفس المشكلة نظراً لتداخل عدد من العوامل. المهم لمعرفة الأسباب هو الاستدلال للربط ما بين السبب والأثر، ومن خلال الأثر يسهل علينا معرفة السبب. والأسباب كثيرة ومتنوعة، ولا يمكن فهم الأسرة في معزل عن فهم النظم الاقتصادية والسياسية والدينية. فكل النُظم المرتبطة بالسكان في المجتمع تساهم بشكل أو بآخر في تنظيم أو في تدمير كيان الأسرة.

الأسرة اليوم تتعرض إلى تحديات واسعة وخاصة في المجتمعات التي يطاولها التغيير بسرعة، حيث الحياة المدنية الحديثة والتنشئة الاجتماعية ووسائل الإعلام التي تحاكي الفكر الغربي البعيد كل البعد عن القضايا الأساسية في المجتمع الشرقي، وغيرها من المستجدات. قد ساهمت بشكل مباشر في عملية التغيير، وأحياناً سببت الإحباط وأثرت

بشكل مباشر على كل الأفراد، فمشاهد العنف، والحروب، والوضع الاقتصادي والإباحية وغيرها... من صور يشاهدها المرء كل يوم قد أثرت على مدى استقراره النفسي، وأصبح الإنسان لا يتحمل أحياناً كلمة واحدة، حتى يضجر ويتوتر، والتوتر يؤدي حتماً إلى إثارة المشاكل داخل الأسرة. معظم الأفراد حين يتعرضون للإحباط ينفسون عن غضبهم وعدوانهم بصور مختلفة لأن الإحباط الشديد يتبعه عدوان وغالباً ما يكون الزوج أو الزوجة "كبش فداء".

إن كل الأفراد يتطلعون نحو بناء أسرة هادئة متماسكة، ويصابون بخيبة كبيرة حين يفشلون في سعيهم هذا، ولن تكون تجربة الطلاق المكسب الذي يسعون لتحقيقه.

إن الطلاق بغيض، لكنه ضرورة لا مهرب منها في بعض الحالات.

ولكن يجب وضع ضوابط لنتائجه، والعمل على تخفيف الضرر الناتج عنه، والألم والمعاناة التي لا يعرفها إلا الذين اختبروا مرارة التجربة.

ولا يمكن التعامل مع هذه المشكلة على أنها مشكلة عابرة، ومعالجتها لا تكون إلا عبر حملات توعية مكثفة.

إن الاتهامات المتبادلة بين الزوجين سواء كان لها ما يبررها أم لا سوف تشحن النفوس وتوترها، والتهكم والتحقير وفرض الآراء بالقوة كلها صفات للشخصية المستبدة وكثيرات هم النساء المستبدات وكثر هم الرجال الذين استبدوا. والحياة المشتركة تتطلب التخلي عن بعض الميول والمزاجية، ولعل الأنانية من أهم المسببات للمشاكل الأسرية. هناك سلسلة متصلة من الأسباب والنتائج، الأفعال تتبدل حسب الظروف فقد يصدر فعل مزعج عن شخص مرموق حين يتعرض لمواقف ضاغطة.

مشكلة الطلاق قديمة مستمرة مع استمرار الحياة، ولا يمكن اختصار هذا الموضوع في مجلد واحد بل يلزمه مجلدات، ويصعب النفاذ إلى داخل المشكلة ببساطة ولا يمكن للسطحية أو عدم الموضوعية أن تضيف شيئاً جديداً عن هذه المشكلة.

النجاح في تحقيق السعادة الزوجية يتوقف على مسألة الاختيار الواعي، والمعرفة الشاملة بعواقب التسرع تساعد الشباب على تحديد قناعاتهم، فالقدرة على الاختيار الحكيم تتوقف على مستوى الوعي عند الشباب وعند الأهل أيضاً.

المصادر والمراجع

١. الكتاب المقدس والقرآن الكريم.
٢. آبيل ميروغليو، سيكولوجيا الشعوب، ترجمة نهاد رضا، منشورات عويدات، الطبعة الأولى، بيروت ١٩٦١.
٣. إحسان الأمين، المرأة أزمة الهوية وتحديات المستقبل، الطبعة الأولى، دار الهادي، بيروت، ٢٠٠١.
٤. إحسان محمد الحسن، العائلة والقرابة والزواج، الطبعة الثانية، دار الطليعة، بيروت ١٩٨٥.
٥. الاستبعاد الاجتماعي، عالم المعرفة، العدد ٣٤٤، الكويت ٢٠٠٧ .
٦. أحمد زايد، سيكولوجية العلاقات بين الجماعات، عالم المعرفة، العدد ٣٢٦، الكويت ٢٠٠٦.
٧. أمين رويحة، الحب والزواج، دار القلم، بيروت.
٨. جماعة من المختصين، الإنسان والمجتمع، الطبعة الثالثة، مكتبة الحياة، بيروت، ١٩٨٣.
٩. جون جراي، الرجال من المريخ والنساء من الزهرة، ترجمة إبراهيم باش، دار الأمل، الأردن، ١٩٩٩.
١٠. جوزيف ألن، الكهنوت والزواج، الطبعة الأولى، منشورات السائح، ٢٠٠٤.
١١. جون ستون، المسيحية والقضايا المعاصرة، الطبعة الثالثة، دار الثقافة، القاهرة، ١٩٩٩.
١٢. حامد عبد السلام زهران، الصحة النفسية والعلاج النفسي، الطبعة الرابعة، دار المعارف، القاهرة ١٩٨٨.
١٣. حامد عبد السلام زهران، علم النفس الاجتماعي الطبعة الرابعة، عالم الكتب، القاهرة ١٩٧٠.
١٤. حسين حرب، أفلاطون، دار الفكر اللبناني، بيروت، الطبعة الرابعة، عالم الكتب، القاهرة ١٩٧٧.
١٥. رسل برتراند، أسس لإعادة البناء الاجتماعي، الطبعة الأولى، ترجمة إبراهيم يوسف النجار، المؤسسة الجامعية للدراسات، بيروت، ١٩٨٧.
١٦. زهير حطب، عباس مكي، الطاقات النسائية العربية، الطبعة الأولى، معهد الإنماء العربي، بيروت ١٩٨٧.
١٧. سامية حسن الساعاتي، الاختيار للزواج، دار النجاح، بيروت، ١٩٧٧.
١٨. د. بنجامين سبوك، حديث إلى الأمهات، ترجمة منير عامر، الطبعة الأولى، المؤسسة العربية للدراسات، بيروت، ١٩٨٦.

١٩.سناء الخولي، الزواج والعلاقات الأسرية، دار النهضة العربية، بيروت.
٢٠.عادل عز الدين الأشول، سيكولوجية الشخصية، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ١٩٨٧.
٢١.عبد الرحمن بدوي، الأخلاق النظرية، الطبعة الثانية، وكالة المطبوعات، الكويت، ١٩٧٦.
٢٢.عبلة بساط، مهارات في التربية النفسية، الطبعة الأولى، دار المعرفة، بيروت، ٢٠٠٢.
٢٣.علي حسين مكي العاملي، الطلاق، الطبعة الأولى، منشورات الربيع، بيروت، ١٩٩٤.
٢٤.غاري أتشيمان، لغات الحب الخمس، الطبعة الأولى، دار النفير، بيروت، ١٩٩٨.
٢٥.فايز قنطار، الأمومة، عالم المعرفة، العدد ١٦٦، الكويت، ١٩٩٢.
٢٦.القضاء اللبناني، المركز اللبناني للدراسات، الطبعة الأولى ١٩٩٩ بيروت، لبنان.
٢٧.كارول وسيرج فيدال غراف، كيف تحول المشاجرة بين الزوجين إلى لغة تفاهم، ترجمة عبد الحميد سلطاني، مكتبة العبيكان، الطبعة الأولى، الرياض، ٢٠٠٧.
٢٨.كرستين نصار،مواقف الأسرة العربية من اضطراب الطفل، الطبعة الأولى، جروس برس، طرابلس لبنان،١٩٩٣ .
٢٩.ماري ستوبس، السعادة الزوجية، الطبعة الثانية، دار الرائد، بيروت، ١٩٨٢.
٣٠.ماري كيرك، الطلاق، ترجمة إدوارد عبد المسيح، الطبعة الأولى، دار الثقافة، القاهرة، ١٩٩٩.
٣١.مايكل أرجايل، سيكولوجية السعادة، ترجمة فيصل عبد القادر يونس، عالم المعرفة العدد ١٧٥، الكويت، ١٩٩٣.
٣٢.هادي المدرسي، في العلاقات الزوجية، دار الزهراء، بيروت، الطبعة الثانية، ١٩٧٩.
٣٣.مركز دراسات الوحدة العربية، المرأة العربية بين ثقل الواقع وتطلعات التحرر، الطبعة الأولى، بيروت، ١٩٩٩.
٣٤.مجلة الفكر العربي، العدد الثالث والثمانون، السنة السابعة عشرة، ١٩٩٦.
٣٥.مجلة جامعة الملك سعود، المجلد الثامن عشر، الرياض، ٢٠٠٥.
٣٦. سلسلة كتابات طلابية، مقالات معاصرة تهم المرأة والأسرة، معهد السيدة الزهراء، الطبعة الأولى، بيروت، ٢٠٠٣.
٣٧. مركز دراسات الوحدة العربية، المرأة العربية بين ثقل الواقع وتطلعات التحرر، الطبعة الأولى، بيروت ١٩٩٩.
٣٨. وزارة الشؤون الاجتماعية، التمايز النوعي بين الجنسين في لبنان، الجزء الخامس.
٣٩. ورشة الموارد العربية، المراهقون والمراهقات والزواج المبكر، دار الفرات، بيروت، ٢٠٠١.
٤٠. شبكة المعلومات الدولية.

المؤلف في سطور

- الكاتبة: ندى ذبيان
- كاتبة وباحثة اجتماعية.
- من مواليد لبنان ١٩٦٢/٩/٤
- حائزة على إجازة في الفلسفة من الجامعة اللبنانية، الفرع الأول.
- دبلوم خبرة في علم السكان.
- خبيرة في شؤون ومشاكل الأسرة.
- صدر للكاتبة:

* ابتهالات على ضوء القمر : دار ومؤسسة رسلان للطباعة والنشر والتوزيع – الطبعة الأولى ٢٠٠٥.

* مع حفيف أوراق الخريف: دار ومؤسسة رسلان للطباعة والنشر والتوزيع ــ الطبعة الأولى ٢٠٠٧.

- تلفاكس: ٥٠٦١٣٢ / ٠٥
- بريد إلكتروني: **Nada_Zebyen@hotmail.com**

الفهرس